مع القرآن الكريم

تأليف

خادم القرآن الكريم

محمود الحصري

شيخ عموم المقارئ بالجمهورية العربية المتحدة

وقارىء المسجد الحسيني

ومراجع المصاحف بالأزهر الشريف

مطابع شركة الشهاب بالقاهرة ت ٧٨٩٧٨

شعبان ١٣٨٢ — يناير ١٩٦٣

«كلمـــة»

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر

الشيخ محمود شلتوت

فى كتاب مع القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن أسعد وقت للإنسان فى حياته هو ما يعيش فيه مع القرآن بروحه وعمله واتجاهه . وذلك عن طريق تطبيق مبادئه ومثله وقيمه . على نفسه وعلى أهله وذويه . ومحاولته جاهداً أن يطبقها كذلك على مجتمعه الذى يعيش فيه ، فالقرآن الكريم هو النبراس الذى يضىء لنا هذه الحياة ، والقبس الذى نمشى على ضيائه ، والنور الذى يوضح لنا معالم المعرفة والهداية ، إذ هو الجامع لكل ألوان المعرفة وأنواعها ، مما يتصل بحياة الإنسان ، وما ينفعه فى دينه ودنياه ، وفى معاشه ومعاده وهو الذى نقل إلينا النظام الإلهى .

وهو الدستور السماوى للبشر كافة ، وللخلق عامـــة ، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول فى شأن القرآن « فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم .

هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا « إنا سمعنا قرآنا عجبا » من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم ، وهو عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب .

فإذا كان هذا هو شأن القرآن الكريم فما أحلى ما يتبع الإنسان هداه ، ويسلك طريقه ومنهاجه ، ولذا كان كل وقت يقضيه الإنسان مع القرآن هو الوقت الفريد بالسعادة ، الملىء بالخير ، المحاط بالعناية الإلهية والرعاية الربانية ، وكثير من الناس آتاهم الله حظ الدنيا والآخرة ، ومنحهم السعادة فيهما عن هذا الطريق المستقيم ، طريق القرآن الكريم فحفظوه ، وجودوه ، ورعوه حق الرعاية ، واستمروا دائبين يخدمونه ويسعدون به لأنه دائماً يهدى إلى الحق ، إلى صراط مستقيم .

وكان ممن عرفت من هؤلاء ولدنا الشيخ محمود الحصرى ، عرفته قارئاً مجيداً . يخشى الله فى قراءته ، ويتبع السلف الصالح فى طريقتهم فى قراءة كتاب الله تعالى ، فما يحيد عنها قيد أنملة ، ولا يبتعد عنها ما استطاع لذلك سبيلا ، تملأ قراءته القلوب سكينة وأمنا وطمأنينة ، وتفتح أمام أعين سامعيه سبل الهدى والرشاد .

وما أحسن ما يبتعد القراء بأصواتهم المؤثرة عن التغنى بالقرآن ، والأفراط فى غنه ومده ، والتلاعب بتمطيط حروفه ، وترقيص كلماته جريا وراء قواعد النغم والموسيقى التى تذهب برونق القراءة وبهاء التلاوة ، وذلك حين يخرجون به عن الحد الذى أنزله الله فتضيع حكمته من أذهان السامعين ، وترتبط قلوبهم بالأغانى التى تحيد بهم عن القرآن وعن أسراره وحكمه .

وحين قدم إلينا الشيخ محمود الحصرى كتابه «مع القرآن الكريم» حمدت له هذا الصنيع القيم الذى ضم به خدمة كريمة إلى خدماته التى يقدمها إلى القرآن الكريم تقربا لله ، ولما قرأت الكتاب وجدته كتابا يحتاج إليه المسلمون الذين يحبون القرآن ، وهو فوق ذلك بيان طيب لما يجب مراعاته فى قراءة القرآن وتلاوته حتى يكون الناس على بينة من أمر قرائهم ، وليكونوا على هدى فى اتجاه سيرهم ، وجدته يكتب فى الموضوع جامعاً للأحاديث التى تبين الفضل الذى يؤتيه المولى لقارىء القرآن والثواب الذى يعطيه لتاليه ، ويمنحه له ، ثم هو يذكر الناس بالآثار الطيبة والثمـــر الشهى يظفر به الذين يعملون بالمبادىء التى اشتمل عليها القرآن الكريم .

وحين قرأت ذلك تذكرت قول الرسول ﷺ «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» فان تعليم القواعد التى ينبغى أن يسير عليها المسلمون بالنسبة للقرآن هو الأمر اللازم والضرورة المحتمة فى هذه الحياة .

ان هذا السفر الجليل قد ضم من الأحكام ما يتصل بما يفعله بعض القـراء من ترك بعض الآيات أثناء التلاوة ليستقبل بها عظيما

أو ليتجنب بها إنذاراً وتخويفا لا يناسب المقام ولا يوافق المزاج فيعمد المؤلف إلى بيان شناعة هذا الأمر وفداحته ، ومجافاته للأدب الذى ينبغى أن يتصف به قارىء القرآن فإن فاعله بعمله هذا كأنه يستدرك على الخالق ويعقب عليه إذ أنه يدعى أنه أكثر أدبا وأشد رعاية لشعور السامعين من القرآن الكريم ، ثم يقول : وكأنى بهذا النوع من القراء وهو يزعم أن عنده من الرحمة بالخلق والاشفاق عليهم ما ليس عند أرحم الراحمين وما ليس عند المبعوث رحمة للعالمين — لقد صدق المؤلف فيما كتب فان الله سبحانه العليم ببواطن الأمور الرحيم بعباده لأعلم بما تقتضيه حالات عباده وما يناسب ظروفهم وأحوالهم ، وكما أنزل على عبده آيات الوعد أنزل عليه آيات الوعيد ، وكما أنزل آيات البشارة ، أنزل آيات التخويف « نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم » وليست مهمة الرسول الأعظم ﷺ مهمة تبشير فحسب إنما رسالته التحذير كما أن رسالته التبشير « إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيرا » فجزى الله المؤلف خيراً لبيانه الواضح فى هذا الجانب . وليتق الله القراء فيما يقرءون ، وليعلموا أنهم بسلوكهم هذا يشوشون على السامع ، ويوقعونه فى حيرة من الأمر فوق أنهم يرتكبون إثماً فى مخالفتهم لحكم نسج القرآن العظيم وترابط آياته الكريمة فإن ترتيب الآى أمر توقيفى لا مجال للاجتهاد فيه « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

وكان من خير ما أعجبنى فى هذا الكتاب هو بيانه الواضح فى حكم ما يقدم عليه كثير من القراء من الجمع بين القراءات فى المحافل العامة التى ابتلى بها قراء القرآن فى هذه الحقبة من الزمن الأمر الذى تبعثرت

فيه الأفهام عند السماع ، وتبلبلت فيه الأفكار ، وبعدت عن التدبر والتفهم لكتاب الله فلم تعد القراءة إلا أصواتا موسيقية تشنف آذان السامعين حتى أنها لتحجب المعانى عن القلوب .

رأيته يركز تركيزاً قويا على أنواع الجمع فيعرض لها يوضح رأى الشرع فيها ويصل عن طريق الدليل إلى قول قاطع ورأى حازم وهو عدم جواز الجمع بين القراءات فى الآية الواحدة أوالربع الواحد ، وقد سبق أن أبنّا هذا الموضوع وأدلينا برأينا فيه من عدم جوازه بالنسبة للقراء إلى الجماهير ، وبعثنا به إلى إذاعة الجمهورية لينشر على الناس .

رأيت ذلك كله فى الكتاب مدعما بالدليل والحجة والبرهان من السنة الكريمة ، رأيت ذلك فدعوت الله له ولكل من يخدم القرآن على هذا النحو ، ويتجه إليه بقلبه أن يجعل ذلك كله صادراً عن إيمان عميق وبنية صادقة متجهة إلى الله تعالى وهو رب العرش .

فإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرىء مانوى .

حقق الله به القصد ، ونفع به أهل العلم ، ويسر الله به الخير لأهله .

والسلام عليكم ورحمـــة الله ؟

محمود شلتوت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعد : فقد تصفحت هذا الكتاب « مع القرآن الكريم » الذى ألفه صديقنا الفاضل الأستاذ الشيخ محمود خليل الحصرى ، وأنعمت النظر فيما تضمنه ، فألفيته قد أوفى على الغاية فى تنسيق مباحثه ، وتنظيم مسائله ، وحقية أحكامه ، وتجلية وجه الصواب فيها ، وتوخى الدقة فى تحديدها وتحريرها ، فى رصانة أسلوب ، وجزالة تركيب ، وعذوبة تعبير ، وجمال عرض ، وحسن سبك ، ومما زاد إعجابى بهذا الكتاب وضاعف سرورى من تأليفه دعمه كل دعوى بدليلها ، وتعزيزه كل مسألة ببرهانها ، وعنايته الفائقة بتخريج الأحاديث التى أوردها ، وإسناد الآثار إلى ذويها .

وأسأل الله جلت قدرته أن يحقق بهذا الكتاب النفع ، ويجزل لمؤلفه الأجر ، جزاء ما بذل من جهد يشكر عليه ، وقدم من فضل يذكر به ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

خادم العلم والقرآن

عبد الفتاح القاضى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، وجعله لدنيا الناس وأخراهم منهجا ، وصلاة الله وسلامه على سيدنا محمد القائل « إن لله أهلين قيل : من هم يا رسول ، قال : أهل القرآن أهل الله وخاصته » .

وبعد : فقد اطلعت على كتاب « مع القرآن الكريم » الذى توفر على تأليفه الأستاذ الشيخ محمـــود خليل الحصرى ، فوجدته قد جمع مباحث هامة طالما حنت إليها قلوب قوم آمنوا بربهم ، فمن فضل للقرآن وقارئه ومستمعه ـــ إلى استذكاره والتحذير من نسيانه ، إلى التنبيه على مخالفات من قراء هذا العصر أثناء تلاوته وجمعه ، إلى غير ذلك من أمور لا ينبغى لمؤمن أن يجهلها فضلا عن قارىء القرآن الكريم ، فهو حديقة غنـاء يطرب للحن بلابلها السامع ، وهو تبيان لمن أراد التبيان ، يحيى من القـــلوب مواتها ، ويشفى صدور قوم مؤمنين . فكأنه المعنى بقول الشاعر :

فمن هـدى النبى قبست هدياً ومن نور الإله قبست دينا
أبنت بسفرك الميمون رشدا به تحيا قـــلوب المؤمنينا
أبنت لأمـــة الإسلام فيه طريق النور يهدى الحائرينا

فجزى الله مؤلفه عن القرآن وأهله خير الجزاء ، وجعله محمودا فى أخراه كما هو محمود فى دنياه ، وصلوات الله وسلامه على من اصطفاه .

خادم العلم والقرآن : أحمد محمد أبو زيتحار
المدرس بمعهد دمنهور الدينى ومن قراء القراءات العشر الكبرى

تحيـــة خالصة

يَمِينًـــا لَشَيْخُ الْقَارِئِينَ مُوَفَّقُ
وَإِنَّ «مَعَ القرآن» خَيْرُ مُؤَلَّفِ
وَلِلْحُصَرِيِّ دَوْمًا سِيَاحَاتُ عَاشِقٍ
يَخُصُّ بِهَا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْمَعَارِفِ
تَجَلَّى عَلَيهِ اللهُ جَلَّ جَـــــلَالُهُ
فَأَخْرَجَ لِلْقُرَّاءِ خَـــيْرَ مُصَنَّفِ
وَمَحْمُودُنَا نُورٌ وَبَهْجَتُـــــهُ تُقًى
نَعِمْنَا بِهَا دَهْرًا بِغَيْرِ تَكَلُّفِ
فَإِنْ شِئْتَ فَاصْحَبْهُ وَأَخْلِصْ لَهُ الْوَلَا
تَجِدْ خَيْرَ مَوْصُولٍ بِأَهْلِ التَّصَوُّفِ
فَيَـارَبِّ بَارِكْهُ وَأَكْرِمْ شَبَابَهُ
وَهَبْـــهُ مَعَ التَّوْفِيقِ كُلَّ اللَّطَائِفِ

أحمد أحمد على
خادم العلم والقرآن الكريم
والأستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خيرة النبيين، وصفوة المرسلين، المنزل عليه «وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين» وعلى آله وصحبه أهل القرآن وحماته ، وعلى كل من سلك سبيلهم فى الدفاع عن القرآن والذب عن بيضته.

وبعـــد : فقد رأيت بعض قراء هذا العصر يجورون عن القصد ، ويميلون عن الجادة ، وينحرفون عن الصواب فى تلاوة القرآن الكريم ، إذ يقرءون من الآيات ما يوافق هواهم دون رعاية للترتيب ، وهم بذلك يقطعون ما وصل الله .

ويعمدون إلى إعادة الآية وتكرارها بروايات مختلفة ، وقراءات متنوعة ، فى المجلس الواحد ، وتلك بدعـــة محدثة لم تؤثر عن سلف الأمة الصالح .

فوضعت هذا الكتاب نصيحة لكتاب الله تعالى ، وتبييناً للصواب فى قراءته ، وذوداً عن أقدس ما يعتز به المسلمون ، وإرشاداً لجمهرة التالين والسامعين .

وقد أضفت إليـــه بعض المباحث تتميما للفائدة ، وتعميما للنفع ، وخدمة لكتاب الله ، وطمعاً فيما أدخره الله لأهل القرآن من حسن الجزاء ، وجزيل العطاء .

علو القرآن
على سائر الكتب المنزلة

القرآن الكريم هو كتاب الله الحكيم ، ونوره المبين ، وصراطه المستقيم ، وهو آيته الكبرى ، وهدايته العظمى ، وهو معجزة الدهر ، وكتاب الخلود ، ودستور العالم .

أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد

وهو الكتاب الذى انتظم من العقائد الصحيحة ، والآداب الجمة ، والأخلاق الفاضلة ، والأعمال الصالحة ما هو كفيل بسعادة البشر فى دنياهم الحاضرة ، وحياتهم الثانية لو أنهم دانوا بما أوجب ، وتأدبوا بما قنن ، وتخلقوا بما شرع .

فهو الدواء الناجع ، والبلسم الشافى لعلل البشرية النفسية ، وأمراضهم الخلقية ، ومشكلاتهم الإجتماعية ، وصدق ربنا حيث يقول «يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء

لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين » « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » .

القرآن هو الذى إذا لازمه الإنسان ، واتخذ منه خليلا وسميراً ، يتلوه حق تلاوته ، يتفهم سوره وآياته ، ويتفقه جمله وكلماته ، أفاض عليه من الروحانية والهداية ما يجعله كبير العقل ، صادق الرأى ، نافذ البصيرة ، رقيق الحس ، صافى النفس ، يأتى كل خير ، ويتجنب كل شر ، « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً » .

ولقد تأثر به الجن ساعة سمعوه ، وامتلأت قلوبهم بحبته وإجلاله حتى أسرعوا لدعوة قومهم إلى اتباعه « فقالوا إن سمعنا قرآناً عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا » .

وقد حكى القرآن عنهم أنهم « قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم » « يا قومنا أجيبوا داعى الله

وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم » .

من أجل ذلك كله فاق هذا الكتاب كل ما تقدمه من الكتب السماوية ، وكانت منزلته فوق منزلتها قال تعالى « وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلىّ حكيم » .

وقال : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه » أى عالياً عليه . . قال العلماء : وعلو القرآن على سائر كتب الله — وإن كان الكل من عنده — بأمور :

الأول : أنه زاد عليها بسور كثيرة . فقد جاء فى الحديث الصحيح أن نبينا صلى الله عليه وسلم خص بسورة الحمد وخواتيم سورة البقرة .

وفى مسند الدرامى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : إن السبع الطوال مثل التوراة ، والمئين مثل الأنجيل ، والمثانى مثل الزبور ، وسائر القرآن بعد هذا فضل .

وأخرج الإمام أحمد والطبرانى عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال : أعطيت مكان التـــوراة السبع الطوال ، وأعطيت مكان الزبور المئـين ، وأعطيت مكان الإنجيل المثانى ، وفضلت بالمفصل .

والسبع الطوال من أول البقرة إلى آخر براءة بجعل الأنفال وبراءة بمثابة سورة واحدة « والمئون » هى السور التى تشتمل على مائة آية ، والمثانى هى السور التى يكون عدد آياتها أقل من مائة آية ، وأما المفصل فقد اختلف فى أوله ، فقيل من أول والصافات ، وقيل من أول الفتح ، وقيل من أول الحجرات ، وقيل من أول « قَ » واتفقوا على أن منتهاه آخر القرآن الكريم .

الأمر الثانى : أن الله تعالى جعله قرآناً عربياً مبينا . وكل نبي قد بين لقومه بلسانهم — كما أخبر الله عز وجل فى قوله « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ، ولـكن للسان العرب مزية فى البيان وفى الحديث : أحبوا العرب لثلاث لأنى عربى ، والقرآن عربى ، وكلام أهـل الجنة عربى ، رواه البيهقى والحاكم والطبرانى .

الأمر الثالث : أن الله تعالى جعل نطقه وأسلوبه معجزاً

وإن كان الإعجاز فى سائر كتب الله تعالى من حيث الإخبار عن المغيبات ، والإعلام بالأحكام ، ولكن ليس فيها نظم وأسلوب خارج عن المعهود ، فكان القرآن أعلى منها بهذه المعانى وأمثالها ، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى « وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم » .

ومما يدل على هذا أيضاً قوله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس . قال الإمام ابن كثير : وإنما فازوا بهذه ببركة الكتاب العظيم ، القرآن الذى شرفه الله تعالى على كل كتاب أنزله ، وجعله مهيمناً عليه ، وناسخاً له ، وخاتماً له ، لأن كل الكتب المتقدمة نزلت إلى الأرض جملة واحدة وهذا القرآن نزل منجما بحسب الوقائع لشدة الاعتناء به ، وبمن أنزل عليه ، فكل مرة كنزول كتاب من الكتب المتقدمة . انتهى .

فضل تلاوة القرآن الكريم
وبيان ما أعد الله لقرائه
من عظيم الأجر وجزيل المثوبة

قال الله تعالى « إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور » وفى هذه الآية الكريمة إشادة بالتالين لكتاب الله تعالى ، وبيان لعظيم أجرهم ، وكريم جزائهم ، وليس المراد بالتلاوة مجرد المرور بالكلمات ، وترديدها على الأفواه من غير فكر ولا روية ، وإنما المراد التلاوة التى يصحبها التمعن والتدبر الذى ينشأ عنه الإدراك والتأثر ، ولا شك أن التأثر يفضى بالقارىء لا محالة إلى العمل بمقتضي قراءته ، ولذلك أتبع الله القراءة بإقامة الصلاة ، وبالإنفاق سراً وعلانية من فضل الله ثم برجاء القارئين — بسبب ذلك — تجارة لن تبور . . فهم يعرفون أن ما عند الله فيها خير مما ينفقون ، ويتاجرون

تجارة كاسبة ، مضمونة الربح ، يعاملون الله وحده ، وهى أربح معاملة ، ويتاجرون بها تجارة تؤدى إلى توفيتهم أجرهم ، وزيادتهم من فضل الله تعالى ، « إنه غفور شكور » يغفر التقصير ، ويشكر الأداء ، وشكره تعالى كناية عن رضاه تعالي عن هؤلاء ، وحسن جزائهم عنده .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

من نَفَّسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كُرَبِ يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بَطَّأَ به عملُه لم يُسْرِع به نسبه ، أخرجه مسلم .

والكربة هى الشدة التى توقع صاحبها فى الكرب ، ومعنى تنفيسها تفريجها وإزالتها ، وقوله « فى بيت من بيوت الله » ليس البيت قيداً فإذا اجتمعوا فى مكان آخر غير المسجد كان لهم هذا الفضل أيضاً ، فالتقييد ببيت الله خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له . فالإجتماع للتلاوة فى أى مكان يترتب عليه هذا الفضل وإن كان الإجتماع للتلاوة والمدارسة فى المسجد أفضل من الإجتماع فى أى مكان آخر لما فى المسجد من مزايا وخصائص لا توجد في غيره .

والمراد بالسكينة طمأنينة النفس ، وانشراح الصدر ، وهدوء الضمير .

قال الإمام النووى : وفى الحديث فضل قضاء حوائج المسلمين ، ونفعهم بما تيسر من علم ، أو مال ، أو معاونة ، أو إشارة بمصلحة ، أو نصيحة ، أو غير ذلك ، وفيه فضل الستر على المسلمين ، وفضل إنظار المعسر ، وفضل المشى فى طلب العلم . انتهى .

وعن أبى ذر قال : قلت يارسول الله أوصنى ، قال عليك

بتقوى الله تعالى فإنها رأس الأمر كله ، قلت ، يا رسول الله زدنى ، قال : عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك فى الأرض ، وذخر لك فى السماء . أخرجه ابن حبان .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لله أهلين من الناس ، قيل من هم يا رسول ؟ قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته . أخرجه أحمد .

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » رواه مسلم .

وعن النعمان بن بشير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن . أخرجه البيهقى .

وعن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حملة القرآن فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله . أخرجه الديلمى .

وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، أَمَا إنى لا أقول « الٓمٓ حـــرف ، ولكن أَلِفٌ حرفٌ ، وَلَامٌ حرفٌ ، ومِيمٌ حرفٌ » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يقال لصاحب القرآن اقرأ وَارْتَقِ ، وَرَتِّلْ كما كنتَ تُرَتِّلُ فى الدنيا ، فإن منزلتك عندآخر آية تقرؤها رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح .

والمراد بصاحب القرآن فى الحديث من يلازمه بتلاوته والعمل بما فيه .

ومعنى ارتق : اصعد فى درجات الجنة «ورتل» أى القراءة وترتيل القراءة التأنى فيها ، وتبيين حروفها وحركاتها ، قال الخطابى : جاء فى الأثر أن عدد آى القرآن على قدر درج الجنة ، يقال للقارىء ارق فى الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آى القرآن ، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة ، ومن قرأ جزءاً منها كان رقيه فى الدرج

على قدر ذلك فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة انتهى . والأثر الذى أشار اليه الخطابى رواه البيهقى عن عائشة مرفوعاً « عدد درج الجنة عدد آى القرآن ، فمن دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يجىء القرآن يوم القيامة فيقول يارب حَلِّه فَيُلْبَسُ تاجَ الكرامة ، ثم يقول يارب زِده فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكرامة ، ثم يقول يارب ارض عنه فيرضى عنه ، فيقال له اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة . رواه الترمذى وقال حديث حسن .

وعن تميم الدارى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ عشر آيات فى ليلة كتب له قنطار ، والقنطار خير من الدنيا وما فيها ، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك عز وجل اقرأ وارق بكل آية درجة ، فيقرأ آية ويصعد درجة ، حتى ينجز ما معه من القرآن ثم يقال له اقبض فيقبض ، ثم يقال له : أتدرى ماذا فى يديك ؟ فإذا فى يده اليمنى الخلد ، وفى يده اليسرى النعيم . أخرجه الطبرانى .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ القرآن فرأى أن أحداً أُعْطِىَ أفضلَ مما أُعْطِىَ فقد عَظَّمَ ما صَغَّرَ الله ، وصغر ما عظم الله ، وليس ينبغى لحامل القرآن أن يسفه فيمن يسفه ، أو يغضب فيمن يغضب ، أو يحتد فيمن يحتد ولكن يعفو ويصفح لفضل القرآن . أخرجه الطبرانى .

وكان الإمام أبو عبد الرحمن السلمى إذا ختم عليه الخاتم القرآن أجلسه بين يديه ، ووضع يده على رأسه وقال له ياهذا اتق الله فما أعرف أحداً خيراً منك إن عملت بما علمت .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه، أن أُسَيْدَ بن حُضَيْرٍ بينما هو ليلة يقرأ فى مِرْبَدِهِ إذ جالت فرسه فقرأ ، ثم جالت أخرى فقرأ ، ثم جالت أيضا قال أُسَيْدٌ فخشيت أن تطأ يحيى، فقمت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسى فيها أمثال السُّرُجِ عرجت فى الجو حتى ما أراها ، فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت يارسول الله : بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ فى مربدى إذ جالت فرسى فقال صلى الله عليه

وسلم « اقرأ ابن حضير » فقـــرأت ثم جالت أيضاً فقال رسول الله « اقرأ ابن حضير » فقرأت ثم جالت أيضاً فقال رسول الله « اقرأ ابن حضير » فانصرفت وكان يحيى قريباً منها خشيت أن تطأه فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت فى الجو حتى ما أراها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تلك الملائكة كانت تستمع لك ولو قَرَأْتَ لأَصْبَحَتْ يراها الناس ما تستتر منهم . رواه البخارى ومسلم .

وقوله « مربدى » هو بكسر الميم وفتح الباء الموضع الذى تربط فيه الإبل .

وقوله جالت فرسه أى وَثَبَتْ واضطربَتْ ، والظلة السحابة ، والسرج المصابيح .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له : اقرأ ابن حضير : معناه كان ينبغى أن تستمر على قراءتك لتستمر لك البركة بنزول الملائكة .

قال النووى : وفى هذا الحديث جواز رؤية آحاد الأمة

للملائكة ، وفيه فضيلة القراءة ، وأنها سبب نزول الرحمة ، وحضور الملائكة ، وفيه فضيلة استماع القرآن الكريم انتهى

وعن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأُتْرُجَّةِ ريحها طيب ، وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة لاريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر . رواه البخارى ومسلم .

قال النووى : وفى الحديث فضيلة حافظ القرآن ، واستحباب ضرب الأمثال لإيضاح المقاصد ، وفيه الحض على حفظ القرآن ، ودوام تلاوته ، والعمل بما فيه .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن وَيَتَتَعْتَعُ فيه وهو عليه شاق له أجران . رواه مسلم .

والماهر هو الحاذق الكامل فى الحفظ الذى لا يتوقف ، ولا تشق عليه القراءة لجودة حفظة وإتقانه . والسفرة الملائكة ، جمع سافر .

قال ابن الأنبارى : سموا بذلك لنزولهم بالوحى ومايقع به الصلاح تشبيهاً بالسفير الذى يصلح بين الزجلين ، وقال ابن عرفة : سموا بذلك لأنهم يسفرون بين الله وبين أنبيائه أى ينزلون برسالات الله تعالى إلى الأنبياء ، وهو بمعنى الأول . وقيل : السفرة الكتبة من الملائكة ويسمى الكاتب سافراً لأنه يبين الشىء ، ويقال أسفر عن الشىء بينه ووضحه .

والبررة : المطيعون . قال الملهب : ومعنى كون الماهر بالقرآن مع السفرة أنه معهم فى الحفظ فى درجة واحدة ، وقال القاضى عياض : ويحتمل أن يكون معهم فى منازلهم فى الآخرة ، أى يكون رفيقاً لهم فيها لاتصافه بصفتهم فى حملهم كتاب الله تعالى ، ويحتمل أن يكون المعنى عامل بعملهم كما يقال : معى بنو فلان أى فى الرأى والمذهب ، كما قال لوط عليه السلام « ونجنى ومن معى من المؤمنين » وجاء أن من

تعلم القرآن من صغره وعمل به خلطه الله تعالى بلحمه ودمه وكتبه عنده من السفرة الكرام البررة . انتهى .

وقوله : ويتتعتع فيه . قال القرطبي : التتعتع التردد فى الكلام عيا وصعوبة ، فالمعنى يتردد فيه لقلة حفظه ، والأجران أحدهما فى تلاوته ، والثانى فى تعبه ومشقته ، ودرجات الماهر فوق ذلك كله لأنه قد كان القرآن متتعتعاً عليه ثم ترقى عن ذلك إلى أن شبه بالملائكة .

قال القاضى عياض : وليس المعنى أنه أكثر أجراً من الماهر ، بل الماهر أكثر لأنه مع السفرة ، وله أجور كثيرة ، وكيف يلتحق من لم يعتن بكتاب الله تعالى بمن اعتنى به حتى مهر فيه . انتهى .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لاحسد إلا فى اثنتين ، رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار . رواه البخارى ومسلم .

وعن أبى هـريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا حسد إلا فى اثنتين ، رجل علمه القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ، فسمعه جار له فقال : ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان ، فعملت مثل ما يعمل . ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه فى الحق ، فقال رجل ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل . رواه البخارى .

وقوله : لاحسد إلا فى اثنتين . المراد بالحسد هنا الغبطة وهى أن تتمنى مثل ما لغيرك . وآناء الليل وآناء النهار : ساعاتهما . ومعنى فهو يهلكه فى الحق ينفقه فى الطاعات .

قال فى شرح المشكاة : أثبت الحسد لإرادة المبالغة فى تحصيل النعمتين الخطيرتين يعنى ولو حصلتا بهذا الطريق المذموم فينبغى أن يتحرى ويجتهد فى تحصيلهما فكيف بالطريق المحمود لا سيما وكل واحدة من الخصلتين بلغت آية لا أمد فوقها ولو اجتمعتا فى امرىء بلغ من العلياء كل مكان . انتهى .

قال ابن كثير : ومضمون هذين الحديثين أن صاحب

القرآن فى غبطة ، وهى حسن الحال فينبغى أن يكون شديد الاغتباط بما هو فيه ويستحب تغبيطه بذلك يقال غبطه يغبطه بالكسر غبطاً إذا تمنى مثل ما هو فيه من النعمة ، وهذا بخلاف الحسد المذموم ، وهو تمنى زوال نعمة المحسود عنه سواء حصلت هذه النعمة للحاسد أم لا ، وهذا مذموم شرعاً ومهلك وهو أول معاصى إبليس حين حسد آدم على مامنحه الله تعالى من الكرامة والإعظام ، والحسد الشرعى الممدوح هو تمنى حال مثل حال ذلك الذى هو على حال سارة .

ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : لا حسد إلا فى اثنتين . فذكر النعمة القاصرة ، وهى تلاوة القرآن آناء الليل والنهار . والنعمة المتعدية وهى إنفاق المال بالليل والنهار كما قال تعالى : إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور .

ويدل على أن المراد بالحسد فى الحديث الغبطة ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تنافس بينكم إلا فى اثنتين : رجل أعطاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل

والنهار ، ويتبع ما فيه فيقول رجل : لو أن الله أعطانى مثل ما أعطى فلاناً فأقوم به كما يقوم به ، ورجل أعطاه الله مالا فهو ينفق ويتصدق ، فيقول رجل لو أن الله أعطانى مثل ما أعطى فلاناً فأتصدق به . انتهى .

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلَّم القرآن وَعَلَّمَهُ رواه البخارى .

وفى هذا الحديث بيان فضل تعليم القرآن ، والترغيب فيه . وقد سئل سفيان الثورى عن الرجل يغزو أحب إليك أو يقرأ القرآن ؟ فقال يقرأ القرآن لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خيركم من تعلم القرآن وعلمه . ومكث الإمام أبو عبدالرحمن السلمى يعلم القرآن فى مسجد الكوفة أربعين سنة بسبب سماعه لهذا الحديث ، وكان إذا روى هذا الحديث : يقول ذلك الذى أقعدنى مقعدى هذا .

قال ابن كثير : والغرض أنه صلى الله عليه وسلم قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وهذه صفات المؤمنين المتبعين للرسل، وهم الكملة فى أنفسهم المكمِّلون فى أنفسهم

لغيرهم . وذلك جمع بين النفع القاصر والمتعدى ، وهذا بخلاف صفة الكفار الذين لا ينتفعون ولا يتركون أحداً أن ينتفع ، كما قال تعالى فى حقهم «الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم » وقال تعالى : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » يعنى أنهم ينهون الناس عن اتباع القرآن مع نأيهم وبعدهم عنه أيضاً ، فجمعوا بين التكذيب والصد كما قال تعالى « فمن أظلم ممن كَذَّب بآيات الله وصدف عنها » فهذا شأن شرار الكفار ، كما أن شأن الأخيار الأبرار أن يتكملوا فى أنفسهم وأن يسعوا فى تكميل غيرهم كما فى هذا الحديث ، وفى قوله تعالى « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين ، فجمع بين الدعوة إلى الله — سواء أكان بالأذان أم بغيره من أنواع الدعوة إلى الله من تعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك مما يبتغي به وجه الله تعالى ، وعمل هو فى نفسه صالحاً وقال قولا صالحاً أيضاً فلا أحد أحسن حالا من هذا . انتهى .

وعن أبى هريرة أنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه

وسلم : يا أبا هريرة عَلِّم الناس القرآن وتعلَّمْهُ فإنك إن مت وأنت كذلك زارت الملائكة قبرك كما يزار البيت العتيق .

قال القرطبي : قال العلماء : تعليم القرآن أفضل الأعمال لأن فيه إعانة على الدين فهو كتلقين الكافر الشهادة ليُسْلِم .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال صلى الله عليه وسلم : إن الذى ليس فى جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب . رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

والجوف : القلب . والخرب بفتح الخاء وكسر الراء الخراب قال الطيبى : أطلق الجوف وأريد به القلب ، إطلاقاً لاسم المحل على الحالّ . وقد استعمل على حقيقته فى قوله تعالى « ماجل الله لرجل من قلبين فى جوفه » واحتيج لذكره ليتم التشبيه له بالبيت الخرب بجامع أن القرآن إذا كان فى الجوف يكون عامراً مزيناً بحسب قلة ما فيه وكثرته ، وإذا خلا عما لابد منه من التصديق والاعتقاد الحق والتفكر فى آلاء الله تعالى ومحبته وصفاته يكون كالبيت الخرب الخالى عما يعمره من الأثاث والتجمل . انتهى .

وروى ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : تفتح أبواب السماء لخمسة : نزول الغيث ، وقراءة القرآن ، ولقاء الزحف ، والأذان ، والدعاء . رواه الطبرانى فى الأوسط .

وعنه صلى الله عليه وسلم قال : إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قالوا يا رسول الله ، فما جلاؤها ؟ قال تلاوة القرآن . أخرجه البيهقي فى شعب الإيمان .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله قراءة القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفى رواية زيادة ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه ، رواه الترمذى .

قال القرطبى : فأخبر صلى الله عليه وسلم أن من قرأ القرآن واشتغل به عن الدعاء أعطاه الله تعالي أفضل سؤال سأله أحد من خلقه انتهى .

وعن أبى سعيد الخدرى قال : قال صلى الله عليه وسلم :

من شغله قراءة القرآن عن دعائى ومسألتى أعطيته أفضل ثواب الشاكرين . أخرجه البزار وغيره .

وروى الطبرانى بسنده عن كعب الأحبار أنه قال : ثلاث من عمل بواحدة منهن دخل الجنة : رجل شهد بأساً من بأس المسلمين فصبر حتى قتل أو فتح الله على المسلمين .

ورجل قعد فى حلقة فقرأ عليهم القرآن فحمدوا ربهم عز وجل ثم دعوه سبحانه على إثر ذلك ، فيقول للملائكة : علام اجتمع هؤلاء — وهو أعلم بهم ، ولكن يريد أن يكونوا شهداء فيقولون : أى رب أنت أعلم فيقول : إنى أعلم ولكن أنبئونى بعلمكم فيقولون : يسألونك أن تدخلهم الجنة وتزحزحهم عن النار فيقول : أشهدكم أنى قد أوجبت لهم الجنة وزحزحتهم عن النار ، ورجل قام من دفئه ومن فراشه ولعله أن يكون قام من عند امرأته فى ليلة قرة — أى باردة — فإن كان جنباً اغتسل ، وإن لم يكن جنباً توضأ وأحسن وضوءه فقام فقرأ ودعا ربه عز وجل ، فيقول الله للملائكة : ما أقام عبدى من دفئه وفراشه فيقولون يارب

خوفته عذابك، ورغبته فى رحمتك وهو يستجير من عذابك ويرجو رحمتك فيقول: أشهدكم أنى قد أجرته مما يخاف، وأوجبت له ما يرجو.

قال القرطبي: ومثل هـذا لا يقال من جهة الرأى فهو مرفوع وقد ثبت معناه فى غـــير ما حديث مرفوعا والحمد لله. انتهى.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما تـكلم العباد بـكلام أحب إلى الله من كلامه، وما تقرب إليه المتقربون بأحب إليه من كلامه.

وعن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم: «اقرءوا القرآن فإن الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن» وإن هـذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه فهو آمن، ومن أحب القرآن فليبشر. رواه الدارمى.

قال القرطبي: يقال مأدبة بضم الدال، ومأدبة بفتحها، فمن قال بالضم أراد الصنيع من الطعام يصنعه الإنسان فيدعو

إليه الناس لأكرامهم فشبه القرآن — وهو معقول بشيء محسوس وهو صنيع يصنعه الله لعباده لهم فيه خير و نفع ، ومن قال بالفتح فإنه يذهب به إلى الأدب يجعله مفعلة من الأدب .

ويحتج بحديثه الآخر : إن هذا القرآن مأدبة الله عز وجل فتعلموا من مأدبته . انتهى .

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : أشراف أمتى حملة القرآن وأصحاب الليل . أخرجه الطبرانى . والمراد بأصحاب الليل القائمون بالأسحار بالصلاة ، والتهجد ، والذكر ، والتبتل .

وعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام : منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان ، أخرجه وصححه الحاكم على شرط مسلم .

وعن أبى موسى الأشعرى قال : قال صلى الله عليه وسلم :

إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن ، غير الغالى فيه ، والجافى عنه ، وإكرام ذى السلطان المقسط رواه أبوداود . والغالى فيه هو الذى يتغالى ويتنطع فى تنفيذ أحكامه ، ويبالغ ويسرف فى العمل به ، وهو فى ذلك مخالف لتعليم الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه حيث يقول : إن هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ، فإن الْمُنْبَتَّ لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى ، والجافى عنه هو المجانب لأحكامه والعمل بما فيه ، والمقسط هو العادل .

وعن أبى ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم : لأن تغدو فتتعلم آية من كتاب الله تعالى خير لك من أن تصلى مائة ركعة . أخرجه ابن ماجه .

وعن معاذ الجهنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ القرآن وعمل به أُلبِس والداه تاجاً يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا ، فما ظنكم بالذى عمل بهذا . أخرجه أبو داود .

وعن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد استوجبوا النار » أخرجه الترمذى .

وعن معاذ بن جبـل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ القرآن وعمل بما فيه ومات مع الجماعة بعثه الله يوم القيامة مع السفرة . رواه أبو نصر فى الإبانة .

ويؤخذ من هذه الأحاديث أن الثواب الذى أدخره الله تعالى لقراء القرآن لا يحصل عليه منهم إلا من عمل بالقرآن ، فأتمر بأوامره وانتهى عن نواهيه . ولذلك روى أبو سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من شر الناس رجـلا فاسقاً يقرأ القرآن لا يرعوى إلى شىء منه » رواه النسائى .

وقال ابن مسعود : ليس حفظ القرآن بحفظ حروفه ولـكن بإقامة حدوده .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يأتى القرآن إلى الذى حمله فأطاعه فى صورة حسنة فيأخذ بيده حتى يأتى ربه عز وجل فيصير خصيما من دونه فيقول : أى ربى حفظته إياى ، فخير حامل ، حفظ حدودى ، وعمل بفرائضى ، وعمل بطاعتى واجتنب معصيتى فلا يزال يقذف دونه بالحجج حتى يقال له : فشأنك به ، قال فيأخذ بيده لا يدعه حتى يسقيه بكأس الخلد ، ويتوجه تاج الملك ، قال : ويأتى صاحبه الذى حمله فأضاعه فيأخذ بيده حتى يأتى ربه عز وجل فيصير له خصيما فيقول : يارب حملته إياى فشر حامل ، ضيع حدودى ، وترك فرائضى واجتنب طاعتى ، وعمل بمعصيتى ، فلا يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال له : فشأنك به ، فيأخذ بيده فلا يدعه حتى يكبه على منخره فى نار جهنم » أخرجه البزار وغيره .

وعن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القرآن شافع مُشَفَّع وما حِلٌ مُصَدَّق من جعله أَمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار » أخرجه

ابن حبان . ومعنى ما حـــل : مجادل وفى حديث مسلم : والقرآن حجة لك أو عليك يعنى إن عملت به كان حجة لك وإن لم تعمل به كان حجة عليك .

وعنه صلى الله عليه وسلم : قال من قرأ القرآن يقوم به آناء الليل والنهار يحل حلاله ويحرم حرامه حرم الله لحمه ودمه على النار وجعله رفيق السفرة الكرام البررة حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآن له حجة .

فضل استماع القرآن الكريم

وكما أن لتالى القرآن هذا الثواب الحسن ، والفضل العظيم الذى دلت عليه الأحاديث والآثار السابقة فإن لمستمعه مثل ما لتليه من حسن المثوبة ، وكريم المنزلة ، وعظيم الجزاء قال الإمام الليث بن سعد : ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن لقوله تعالى : « وإذا قُرِئَ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون » .

وهـذا أمر من الله تعالى بوجوب استماع القرآن ، والإنصات إليه[1] . ولاشك أن أدب الإيمان يقتضي الاستماع لكلام الله تعالى حين يتلى ، ويقتضى الإنصات إليه حين يسمع ، ليؤثر تأثيره فى القلوب ، وليقودها إلى الطاعة والتقوى فتنال رضوان الله تعالى ومغفرته ورحمته .

---

(١) الإستماع أبلغ من السماع لأنه لا يكون إلا بقصد وتوجيه السمع إلى الكلام لإدراكه أما السمع فقد يحصل من غير قصد والإنصات السكوت لأجل الإستماع لا يشغل بغيره .

ويقول تعالى : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون » ومعنى وجلت قلوبهم خافت واضطربت فحملها هذا الاضطراب على العمل بما يؤمنها ويطمئنها. ويقول تعالى « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » ومعنى متشابهاً : متماثلا فى الإتقان . ومعنى مثانى : تثنى قصصه ومواعظه ، وتكرر أوامره ونواهيه فى صور مختلفة إذا سمعها المؤمنون تقشعر من وعيده بالعذاب جلودهم لأنهم يخشون ربهم وإذا سمعوا آيات الرحمة والمغفرة تلين جلودهم وتسكن قلوبهم .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من استمع إلى آية من كتاب الله تعالى كتبت له حسنة مضاعفة ، ومن تلا آية من كتاب الله كانت له نوراً يوم القيامة . أخرجه الإمام أحمد .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال لى

رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ عليّ قلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : نعم إنى أحب أن أسمعه من غيرى فقـــرأت سورة النساء حتى أتيت إلي هذه الآية « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » قال حسبك الآن ، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان . رواه البخارى ومسلم .

وقوله : حسبك الآن أى كافيك الآن . ومعنى تذرفان تسيل دموعهما .

قال الإمام النووى : وفى هـذا الحديث فوائد ، منها استحباب استماع القراءة والاصغاء لها ، والبكاء عندها ، وتدبرها ، واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمع له ، وهو أبلغ فى التفهم والتدبر من قراءته بنفسه ، وفيه تواضع أهل العلم والفضل ولو مع أتباعهم . انتهى .

وسيأتي لهذا الفصل مزيد بسط عند الكلام على آداب المستمع للقرآن الكريم وهو الفصل الأخير إن شاء الله .

الحث على استذكار القرآن وتعاهده
والتحذير من تركه بعد حفظه

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المُعقَّلَة إن عاهد عليها أمسكها ، وإن أطلقها ذهبت رواه البخارى ومسلم

والمعقلة المشدودة بالعقال وهو الحبل .

وعن ابن مسعود قال : قال صلى الله عليه وسلم : بئسما لأحدكم يقول نَسِيتُ آية كَيتَ وكيتَ ، بل هو نُسِّيَ ، استذكروا القرآن فلهو أشد تفصياً من صدور الرجال من النَّعَمِ بِعُقُلِهَا . رواه البخارى ومسلم .

وبئس كلمة ذم ، وكيت وكيت يعبر بهما عن الجمل الكثيرة والكلام الطويل .

قال القاضى عياض : أولى ما يتأول عليه الحديث أن

معناه ذم الحال لاذم القول، أى بئست الحالة حالة من حفظ القرآن ثم غفل عنه حتى نسيه ، وقوله : استذكروا القرآن أى واظبوا على تلاوته ، واطلبوا من أنفسكم المذاكرة به . وقوله : فلهو أشد تفصياً أى تفلتاً وتخلصاً . والنعم بفتح النون المشددة وفتح العين الأبل ، والعقل بضم العين والقاف جمع عقال وهو الحبل الذى يشد به البعير . انتهى .

وعن أبى موسى الأشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : تعاهدوا القرآن فو الذى نفسى بيده لهو أشد تفصياً من الإبل فى عقالها . رواه البخارى ومسلم .

ومعني تعاهدوا القرآن واظبوا عليه بالحفظ والترداد . قال الطيبى : شبه القرآن الكريم وكونه محفوظاً على ظهر القلب بالإبل النافرة ، وقد عقل عليها بالحبل ، وليس بين القرآن والبشر مناسبة قريبة لأنه حادث وهو قديم والله تعالى بلطفه منحه هذه النعمة العظيمة ، فينبغي له أن يتعاهده بالحفظ والمواظبة عليه . انتهى .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : فإذا قام صاحب

القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره وإلا نسيه . أخرجه مسلم.

وعن ابن عمر قال : قال صلى الله عليه وسلم : مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار كمثل رجل له إبل ، فإن عقلها حفظها ، وإن أطلق عقالها ذهبت ، فكذلك صاحب القرآن . أخرجه الإمام أحمد .

قال ابن كثير : ومضمون هذه الأحاديث كلها الترغيب في كثرة تلاوة القرآن الكريم ، واستذكاره وتعاهده ، لئلا يعرضه حافظه للنسيان ، فإن ذلك خطأ كبير ، نسأل الله تعالى العافية منه . انتهى .

وعن أنس بن مالك قال : قال صلى الله عليه وسلم : عرضت عليّ أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد ، وعرضت عليّ ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أوتيها رجل ثم نسيها . أخرجه الترمذي وصرح النووي في الروضة بأن نسيان القرآن كبيرة لهذا الحديث . انتهى .

وروى سعد بن عبادة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : من تعلم القرآن ثم نسيه لقى الله يوم القيامة أجذم . أخرجه أبو داود ، ومعنى أجذم قال العلماء : منقطع الحجة .

وكان سفيان بن عيينة يذهب إلى أن النسيان الذي يستحق صاحبه الذم ، ويضاف إليه الإثم هو الترك للعمل به وأن النسيان فى لسان العرب الترك ، قال تعالى : فلما نسوا ما ذكروا به ، أى تركوا . وقال « نسوا الله فنسيهم » أى تركوا طاعة الله فترك رحمتهم ، قال سفيان : وليس من حفظ القرآن أو شيئاً منه وتفلت منه بناس إذا كان يحل حلاله ويحرم حرامه . انتهى .

قال القرطبى فى « التذكار » وهذا تأويل حسن جداً وله وجه ، إلا أن الله تعالى أثنى على من كان دأبه قراءة القرآن فقال « ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » فتهجد به أى بالقرآن . وقال : « ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا » وسمى القرآن ذكراً . وتوعد من أعرض عنه ومن تعلمه ثم نسيه قال تعالى : « كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا

من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا » . وقال : من أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال : رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً . قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى .

فهذا ظاهره تلاوة القرآن ، وكذلك ظاهر الحديث ، وإذا كان نسيان القرآن من الذنوب فلا احتراز منه إلا بإدمان قراءته .

وقال صلى الله عليه وسلم : « يا أهل القرآن لا توسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته آناء الليل وآناء النهار وتغنوه وتقنوه واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون » قال أبو عبيد : تغنوه اجعلوه غناكم من الفقر ، ولا تعدوا الإقلال معه فقراً ومعنى تقنوه اقتنوه كما تقتنون الأموال . انتهى .

قال ابن كثير : وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى فى قوله تعالى : « ومن أعرض عن ذكرى » الآيات . وهذا الذى قاله هذا — وإن لم يكن هو المراد جميعه — فهو بعضه ،

فإن الإعراض عن تلاوة القرآن، وتعريضه للنسيان، وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفريط شديد نعوذ بالله منه، ولهـذا قال عليه السلام: تعاهدوا القرآن، استذكروا القرآن فإنه أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم. والتفصى التخلص يقال تفصى فلان من البلية إذا تخلص منها، ومنها تفصى النوى من التمرة إذا تخلص منها، أى أن القرآن أشد تفلتا من الصدور من النعم إذا أرسلت من غير عقال.

وعن الضحاك بن مزاحم قال: ما من أحد تعلم القرآن فنسيه إلا بذنب أحدثه لأن الله تعالى يقول: وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم، ونسيان القرآن من أعظم المصائب.

ولهـذا قال إسحاق بن راهويه: يكره للرجل أن يمر عليه أربعون يوماً دون أن ينتهى فيه من قراءة القرآن كله.

كيفية تلاوة القرآن الكريم

اتفق علماء القراءة ، وأئمة الأداء على أن لتلاوة القرآن الكريم كيفية مخصوصة يجب على القارىء شرعاً أن يلاحظها أثناء تلاوته ليحرز الأجر الذى وعد الله به القارئين فإذا أهملها ، أو قصر فى مراعاتها كان من الآثمين .

وهذه الكيفية هى تجويد كلماته ، وتقويم حروفه ، وتحسين أدائه ، بإعطاء كل حرف حقه ، ومنحه مستحقه ، من الاجادة ، والإتقان والترتيل والإحسان ، ولا يكون ذلك إلا بتصحيح إخراج كل حرف من مخرجه الأصلى المختص به تصحيحاً يمتاز به عن مقاربه ، وتوفية كل حرف صفته المعروفة به توفية تخرجه عن مجانسه ، مع تيسير النطق به على حال صفته ، وكمال هيئته من غير تشدق ولا إسراف ، ولا تصنع ولا اعتساف ، ومع العناية بإبانة الحروف ، وتمييز بعضها من بعض ، وإظهار التشديدات وتوفية الغنات ، وإتمام الحركات ، ومع تفخيم ما يجب تفخيمه ، وترقيق

مايجب ترقيقه ، وقصر ماينبغى قصره ، ومد مايتعين مده . ومع ملاحظة الجائز من الوقوف والممنوع منها ، فيوقف على ما يصح الوقف عليه ، ويوصل ما لا يصح الوقف عليه ، إلى غير ذلك من الأحكام والقواعد التى وضعها أئمة القرآن .

قال الإمام المحقق ابن الجزرى فى كتابه « النشر » ولاشك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معانى القرآن وإقامة حدوده ، متعبدون بتصحيح ألفاظه ، وإقامة حروفه على الصفة المتلقاه من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التى لا تجوز مخالفتها ، ولا العدول عنها إلى غيرها . انتهى .

وتلك الكيفية هى التى نزل بها القرآن الكريم ، وهي المرادة من الترتيل الذى أمر الله به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « ورتل القرآن ترتيلا » .

قال ابن عباس أى بَيِّنْهُ ، وقال مجاهد : تأنَّ فيه ، وقال الضحاك : انبذه حرفا حرفا ، وافصل الحرف من الحرف الذى بعده ، وجاء عن على رضى الله عنه أنه قال : الترتيل

تجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف ، وقال بعضهم : أى تَثَبَّتْ فى قراءتك وَتَمهَّلْ فيها .

ولم يقتصر سبحانه على الأمر بالفعل حتى أكده بالمصدر اهتماما به وتعظيما له ، ليكون ذلك عونا على تدبر القرآن وتفهمه ، وهكذا كانت قراءة النبى صلى الله عليه وسلم كانت غاية فى الترتيل والتؤدة ، وآية فى الإتقان والجودة ، لم تكن هَذًّا ولا عجلة ، بل كانت مفسرة كلمة كلمة مُبَيَّنة حرفا حرفا وقد روى عنه زيد بن ثابت أنه صلى الله عليه وسلم قال : إن الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل . أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه ، وعن أم سلمة أنها سئلت عن قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم فإذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا . أخرجه الترمذى . وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة حتى تكون أطول من أطول منها . وسئل أنس بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كانت مداً ثم قرأ أنس بسم الله الرحمن الرحيم ، يمد الله ، ويمد الرحمن ، ويمد الرحيم .

وعن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان يُقَطِّعُ قراءته فيقول الحمد لله رب العالمين ، ثم يقف الرحمن الرحيم ، ثم يقف مالك يوم الدين ، وهكذا رواه الترمذى وأبو داود .

قال القرطبي : قال علماؤنا : قول أم سلمة : كان يقطع قراءته يدخل فيه جميع ما كان يقرؤه من القرآن ، وإنما ذكرت فاتحة الكتاب لتبين صفة التقطيع ، أو لأنها أم القرآن فيغنى ذكرها عن ذكر ما بعدها فالتقطيع عام لجميع القراءة لظاهر الحديث انتهى .

وذكر الزهرى أن قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم : كانت آية آية وهذا هو الأفضل وهو الوقوف على رءوس الآى وإن تعلقت بما بعدها وذهب بعضهم إلى أن الوقوف على رءوس الآى أفضل مالم تتعلق الآية بما بعدها فان تعلقت بما بعدها كان الوقف على ما يتم به الكلام أفضل، ولكن اتباع هدى الرسول وسنته أولى، وممن ذكر ذلك البيهقى فى شعب الأيمان ورجح الوقف على رءوس الآى وإن تعلقت بما بعدها

وقد اختلف العلماء هل الأفضل الترتيل مع قلة القراءة ، أو السرعة مع كثرتها ؟

فذهب فريق إلى أن الترتيل والتدبر مع قلة القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها وهذا مذهب ابن عباس وابن مسعود وغيرهما وقد احتجوا لهذا المذهب بأدلة .

الأول : أن المقصود من قراءة القرآن فهمه وتدبره ، والتفقه فيه والعمل به ، وما تلاوته وحفظه إلا وسيلة إلى معانيه ، فقد قال بعض السلف : نزل القرآن ليعمل به فاتخذوا تلاوته عملا ، ولهذا كان أهل القرآن هم العالمين به العاملين بما فيه ، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب . وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل به فليس من أهله وإن جود كلماته وأتقن حروفه .

الثانى : أن الأيمان هو أفضل الأعمال على الإطلاق ، وفهم القرآن وتدبره هو الذى يثمر الأيمان ، وأما مجرد التلاوة من غير فهم ولا تدبر فيفعلها البر والفاجر ، والمؤمن

والمنافق . فمن أوتى تدبراً وفهماً فى التلاوة أفضل ممن أوتى كثرة قراءة وسرعتها بلا تدبر .

الثالث : أنه كان من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها ، وثبت عنه أنه قام ، بآية واحدة فى الليل ، وأخذ يرددها حتى الصباح . وهى « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » رواه النسائى وابن ماجه .

وقال أبو حمزة لابن عباس إنى رجل سريع القراءة وربما قرأت القرآن كله مرة فى الليلة ، فقال له ابن عباس : لأن أقرأ سورة واحدة أرتلها وأتدبرها أحب إلىّ من أن أفعل الذى تفعل . فإن كنت فاعلا لابد فاقرأ قراءة تسمعها أذنك ويعيها قلبك . رواه البخارى .

وقال ابن مسعود : لا تَهُذُّوا بالقرآن هَذَّ الشِّعر ، ولا تَنْثُروه نَثْرَ الدَّقَل ، وقفوا عند عجائبه ، وحركوا به القلوب ، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة .

والهـــذ الاسراع أى لا تسرعوا فى القراءة إسراعكم بالشعر — والدقل بفتح الدال والقاف أردأ التمر والمعنى النهى عن عدم العناية بإتقان القراءة ، بالاسراع فيها وعدم رعاية حدودها .

وقال ابن مسعود أيضاً : إذا سمعت الله تعالى يقول : يا أيها الذين آمنوا . فأصغ لها سمعك فإنه خير تؤمر به ، أو شر تنهى عنه .

وجاءه رجل فقال له إنى أقرأ المُفَصَّل فى ركعة فقال : أَهَذًّا كهذّ الشِّعر ؟ .

وسئل مجاهد عن رجلين أحدهما قرأ البقرة والآخر قرأ البقرة وآل عمران فى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد . فقال : الذى قرأ البقرة وحدها أفضل .

وعن محمد بن كعب القرظى أنه قال : لأن أقرأ فى ليلتى حتى أصبح سورتى الزلزلة والقارعة ، لا أزيد عليهما وأتردد فيهما وأتفكر أحب إلىّ من أن أهذ القرآن هـذّا وأنثره نثرا .

وعن عائشة رضى الله عنها أنه ذكر لها أن أناساً يقرءون القرآن فى الليلة مرة أو مرتين فقالت : أولئك قوم قرءوا ولم يقرءوا كنت أقوم مع الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة التمام فكان يقرأ البقرة وآل عمران والنساء ، فلا يمر بآية فيها تخويف إلا دعا الله واستعاذ ، ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه . رواه أحمد .

قال ابن كثير وفى الحديث دليل على استحباب ترتيل القراءة والترسل فيها من غير هذرمة ولا بسرعة مفرطة ، بل بتأمل وتفكر ، قال تعالى : كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب انتهى . والهذرمة الإسراع فى القراءة .

وقال الغزالى : إن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر فإن الأعجمى الذى لا يفهم معنى القرآن يستحب له فى القراءة الترتيل والتؤدة بل لأن ذلك أقرب إلى توقير القرآن واحترامه ، وأشد تأثيراً فى القلب من السرعة والاستعجال انتهى .

وذهب فريق منهم — ومنهم أصحاب الشافعى — إلى أن كثرة القراءة أفضل واحتجوا لذلك بحديث ابن مسعود: من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول «الم» حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف. أخرجه الترمذى وقد تقدم.

قالوا: ولأن عثمان بن عفان رضى الله عنه قرأ القرآن فى ركعة وذكروا آثارا عن كثير من السلف فى كثرة القراءة.

وقال العلامة ابن القيم فى زاد المعاد: والصواب فى المسألة أن يقال: إن ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجل وأرفع قدراً، وثواب كثرة القراءة أكثر عدداً. فالأول كمن تصدق بجوهرة عظيمة جداً أو عتق عبداً قيمته نفيسة جداً. والثانى كمن تصدق بعدد كثير من الدراهم، أو أعتق عدداً من العبيد قيمتهم رخيصة. انتهى.

إنزال القرآن على سبعة أحرف
وما حكمة ذلك

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله وسلم قال : أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف . رواه البخاري ومسلم .

وعن أبيّ بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة[1] بني غفار ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم أتاه الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك

(١) الأضاة بفتح الهمزة مستنقع الماء كالغدير وكان بموضع من المدينة المنورة وينسب إلى بني غفار لأنهم نزلوا عنده .

القرآن على ثلاثة أحرف فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لاتطيق ذلك ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرفٍ قرءوا عليه فقد أصابوا . رواه مسلم .

وعن أبىّ بن كعب رضى الله عنه قال : لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فقال ياجبريل إنى بعثت إلى أمة أميين ، فيهم العجوز ، والشيخ الكبير ، والغلام ، والجارية ، والرجل الذى لم يقرأ كتابا قط . قال يا محمد : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف . رواه الترمذى وقال حسن صحيح .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت هشام ابن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره فى الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السوره التى سمعتك تقرأ ؟ قال

أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تُقرئنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ ياهشام فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذلك أنزلت ثم قال : اقـــرأ يا عمر فقرأت القراءة التى أقرأنى فقال صلى الله عليه وسلم : كذلك أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه . رواه البخارى ومسلم .

وقوله فى الحديث فكدت أساوره معناه أواثبه وأقاتله. وقوله فلببته بردائه بتشديد البـاء الأولى أى جمعت عليه رداءه عند لَبَّته . وقوله فاقرءوا ما تيسر منه . أى من الأحرف المنزل بها .

وعن أبىّ بن كعب رضى الله عنه قال : كنت فى المسجد فدخل رجل يصلى فقرأ قراءة أنكرتها عليه . ثم دخل آخر

فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرآ ، فحسّن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما .

فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري ، ففضت عرقاً ، وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فَرَقاً . فقال لي : يا أُبيّ أُرْسِلَ إليَّ أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هوِّن على أمتي ، فرّد إليّ الثانية اقرأه على سبعة أحرف ، فلك بكل رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مسألة تسألنيها فقلت : اللهم اغفر لأمتي ، اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلهم حتي إبراهيم رواه مسلم .

قوله : فحسن النبي شأنهما أي صوب كلا منهما في قراءته . ولذلك ورد في بعض الروايات أنه قال لكل منهما أصبت . وفي أخرى أحسنت .

وقوله فسقط فى نفسى الخ . قال القرطبى : أصابته نزغة من الشيطان ليشوش عليه حاله ، ويكدر عليه وقته ، ولما رآى الرسول صلى الله عليه وسلم ما أصابه من هذا الخاطر ضرب به فى صدره فانشرح صدره ، وتنور باطنه حتى آل به الكشف وشرح الصدر إلى حالة المعاينة ، ولما ظهر له قبح ذلك الخاطر خاف من الله وفاض بالعرق استحياء منه تعالى فكان هذا الخاطر من قبيل ما قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم حين سألوه إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال أوقد وجدتموه ؟ قالوا نعم ، قال : ذلك صريح الإيمان . انتهى

وقوله : وكأنما أنظر إلى الله فرقا . الفرق بفتح الفاء والراء الخوف والفزع .

وقد اختلف العلماء فى المراد بالأحرف السبعة اختلافاً كثيراً ، وذهبوا فيه مذاهب شتى ، والذى نختاره من بين هذه المذاهب هو ما ذهب إليه الإمام أبو الفضل الرازى فى كتابه « اللوائح » وهو أن المراد بهذه الأحرف الأوجهُ التى يقع بها التغاير والاختلاف .

والأوجه التى يقع بها التغاير والاختلاف لاتخـــرج عن سبعة :

الأول: اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث مثال ذلك قوله تعالى « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » قرىء لأماناتهم ، بالأفـراد والجمع . وقوله تعالى : « يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم » قرىء ينفع بياء التذكير وتاء التأنيث .

الثانى : اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر .

مثال ذلك قوله تعالى : « فقالوا ربنا باعد عن أسفارنا » قرىء ربنا بفتح الباء على أنه منادى ، وباعد بكسر العـين وإسكان الدال على أنه فعل أمر أو دعاء ، وقرىء برفع باء ربنا على أنه مبتدأ وباعد بفتح العـين والدال على أنه فعل ماضٍ والجملة خبر المبتدأ .

الثالث : اختلاف وجوه الأعراب مثل قوله تعالى : « لا تضار والدة بولدها » قرىء بنصب الراء ورفعها .

الرابع : الاختلاف بالنقص والزيادة مثل قوله تعالى : « وما عملته أيديهم » فى سورة يس ، قرىء عملته بحذف الهاء وإثباتها ، ومثل «وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار» فى سورة براءة قرىء بزيادة من .

الخامس : الاختلاف بالتقديم والتأخير ، مثل قوله تعالى : « وقاتلوا وقتلوا » فى آل عمران قرىء بتقديم قاتلوا على قتلوا ، وقرىء بالعكس .

السادس : الاختلاف بالإبدال مثل قوله تعالى : « وانظر إلى العظام كيف ننشرها» قرىء بالزاى المعجمة والراء المهملة ومثل « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن » بالزخرف قرىء عند الرحمن : ومثل « فتبينوا » قرىء فتثبتوا .

السابع : الاختلاف فى اللهجات كالفتح والإمالة ، والإدغام والإظهار والتفخيم والترقيق والتسهيل والتحقيق . والإبدال إلى غير ذلك من اللهجات التى اختلفت فيها قبائل العرب . ويؤخذ من الأحاديث السابقة أمور :

الأول : أن جميع القراءات متساوية فى أنها كلها حق

وصواب فمن قرأ بأية قراءة منها فهو مصيب ، ويؤخذ هذا من قوله : « فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا » ومن قوله فحسن الرسول شأنهما . ويؤخذ أيضاً من عدم موافقة الرسول لعمر وأبيّ على مخالفة معارضيهم ، ومن دفعه صلى الله عليه وسلم فى صدر أبيّ حين استصعب عليه إقرار هذا الاختلاف ، ولا ريب أن ذلك كله يدل دلالة واضحة على إباحة القراءة بكل حرف لكل أحد .

الأمر الثانى : أن القراءات كلها على اختلافها كلام الله تعالى ، لا دخل للبشر فيها بل كلها نازلة من عنده ، مأخوذة بالتلقى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويدل على ذلك أن الأحاديث الماضية تفيد أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يرجعون فيما يقرءون إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، يأخذون عنه . ويتلقون منه كل حرف ، يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى قراءة كل من المختلفين « كذلك أنزلت » وقول المخالف لصاحبه « أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم » . يضاف إلى ذلك أنه لو

صح لأحد أن يغير ما شاء من القرآن بمرادفه ، أو غير مرادفه ، ويقرأ حسب هواه لبطلة قرآنية القرآن ، وأنه كلام الله تعالى ، ولذهب الإعجاز ـ ولما تحقق قوله تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

الأمر الثالث : أنه لا يجوز للمسلمين أن يجعلوا اختلاف القراءات مثار نزاع وجدل . ولا سبب تشكيك وتكذيب وتردد لأن نزول القرآن على هذه الأوجه المختلفة إنما كان لحكمة التهوين على الأمة ، والرحمة بها ، فلا ينبغى أن نجعل من اليسر عسرا ، ومن الرحمة نقمة . ويؤخذ هذا من قوله صلى الله عليه وسلم كما فى بعض الروايات للمختلفين فلا تماروا فى القرآن ، فإن المراء فيه كفر ، ومن تغير وجهه عليه الصلاة والسلام عند اختلافهم مع قوله لبعضهم « إنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف ، ومن ضربه فى صدر أبىّ رضى الله تعالى عنه .

وأما الحكمة فى إنزال القرآن على هذه الأوجه المختلفة فهى أن العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة ،

ولهجاتهم متباينة ، ويتعذر على الواحد منهم أن ينتقل من لغته التي درج عليها ، ومرن لسانه على التخاطب بها منذ نعومة أظفاره ، وصارت هذه اللغة طبيعة من طبائعه وسجية من سجاياه ، واختلطت بلحمه ودمه بحيث لا يمكنه التفصي عنها ، ولا العدول إلى غيرها ولو بطريق التعليم والعلاج خصوصاً الشيخ والمرأة .

فلو كلفهم الله تعالى العدول عن لغتهم ، والانتقال عن ألسنتهم لشق ذلك عليهم غاية المشقة ، ولكان ذلك من قبيل التكليف بما لا يدخل تحت طاقة الإنسان البشرية وقدرته الفطرية ، فاقتضت رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن يخفف عليها ، وأن ييسر لها حفظ كتابها وتلاوة دستورها كما يسر لها أمر دينها ، وأن يحقق لها أمنية نبيها حين أتاه جبريل فقال له : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف . فقال أسأل الله معافاته ومعونته فان أمتي لا تطيق ذلك ، ولم يزل رسول الله يردد المسألة ، ويلحف في الرجاء حتى أذن الله له أن يقرىء أمته القرآن على سبعة

أحرف كما سبق ذلك فى حديث مسلم . فكان صلى الله عليه وسلم يقرىء كل قبيلة بما يوافق لغتها ، ويلائم لسانها .

ومن حكم إنزال القرآن على هذه الأوجه أيضا الجمع بين حكمين مختلفين بمجموع القراءتين كقوله تعالى « فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن » قرىء يطهرن بالتخفيف أى باسكان الطاء وضم الهاء ، وقرىء بفتح الطاء والهاء مشددتين ، ولا يخفى أن قراءة التشديد تفيد المبالغة فى طهر النساء من الحيض لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى ، ويستفاد من مجموع القراءتين أمران :

الأول : أن الحائض لا يقربها زوجها حتى يحصل أصل الطهر وذلك بانقطاع الحيض .

والثانى : أنه لا يقربها إلا إذا بالغت فى الطهر وذلك بالاغتسال فلا بد حينئذ من الطهرين معاً فى جواز مباشرة المرأة انقطاع الدم والاغتسال وهذا مذهب الشافعى ومن حذا حذوه .

ومنها الدلالة على حكمين شرعيين ولكن فى حالتين

مختلفين كقوله تعالى« فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحو ابرءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين » قرىء بنصب اللام وجرها فى أرجلكم فالنصب يفيد غسل الرجلين لأن العطف حينئذ يكون على لفظ وجوهكم المنصوب وهو واجب الغسل فيكون المعطوف مثله في وجوب الغسل والجر يفيد طلب مسحهما لأن العطف حينئذ يكون على لفظ رءوسكم المجرور وهو ممسوح وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن المسح يكون للابسى الخف وأن الغسل يجب على من لا يلبس الخف إلى غير ذلك من الحكم والفوائد .

قال بعض المحقين — والخلاصة أن تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات ، وذلك ضرب من البلاغة ، ونوع لمن أنواع الإعجاز يضاف إلى ذلك ما فى تنوع القراءات من البراهين الدامغة والأدلة الصادقة على أن القرآن كلام الله ، وعلى صدق من جاء به من عند الله وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الاختلاف فى أنواع القراءات مع كثرته لا يؤدى إلى تناقض وتضارب ، ولا إلى تهافت وتخاذل

بل القرآن كله على تنوع قراءاته يصدق بعضه بعضاً ، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحـــد فى علو الأسلوب والتعبير ، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم ، ولاشك أن ذلك يفيد تعدد الإعجاز بتعدد الأوجه والقراءات .

ومعنى هذا أن القرآن يعجز إذا قرىء بهذه القراءة ويعجز إذا قرىء بهذه القراءة أيضاً وهكذا ، ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدد القراءات ، ولا ريب أن ذلك أدل على صدق الرسول لأنه أعظم فى اشتمال القرآن على مناح جمة فى الإعجاز والبيان على كل حرف ووجه وبكل لهجة ولسان . انتهى .

حكم ما يفعله بعض القراء من ترك بعض الآيات أثناء التلاوة

من المعلوم أن القرآن الكريم لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعة واحدة ، ولم ينزل مرتب السور والآيات ، وإنما نزل منجما ، موزعاً على الحوادث ، مقسما على الأزمان . ثم كان جبريل عليه السلام ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم ويقول له : ضع هذه الآية بجانب هذه الآية . وضع هذه السورة بإزاء هذه السورة .

وكان صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بمراعاة ذلك الترتيب الذى أرشده إليه جبريل عليه السلام ، ولم ينتقل الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى حتى كان القرآن الكريم مرتب السور والآيات على ما هو عليه الآن فى المصاحف .

وقد عرضه جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين فى العام الذى توفى فيه . وقد أجمع العلماء

سلفاً وخلفاً على أن ترتيب الآيات أمر توقيفى ليس من صنع البشر ، بل هو متلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن رب العزة جل جلاله .

وكذلك ترتيب السور ، فإن جماهير العلماء من السلف والخلف أجمعوا على أنه توقيفى كترتيب الآيات .

قال ابن وهب : سمعت سليمان بن بلال يقول : سئل ربيعة . لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة ؟ فقال : قدمتا وألف القرآن على علم ممن ألّفه . وقد أجمعوا على العلم بذلك ، فهـــذا مما ينتهى إليه ، ولا يسأل عنه . انتهى .

وقال القرطبي فى « التذكار » وذكر أبو بكر محمد بن قاسم الأنبارى فى كتاب الرد له على من خالف عثمان : إن الله الذى لا إله إلا هو تبارك وتعالى ، وتقدس وتنزه عن كل عيب أنزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا ثم فرقه على النبي صلى الله عليه وسلم فى عشرين سنة ، وكانت السورة تنزل فى أمر يحدث ، والآية جواباً لمستخبر يسأل ، ويقف

جبريل النبى صلى الله عليه وسلم على موضع السور والآية فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف ، فكله عن محمد خاتم النبيين عن رب العالمين. فمن أخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة فهو كمن أفسد نظم الآيات ، وغير الحروف والكلمات . انتهى .

وقال مكي بن أبى طالب : إن ترتيب الآيات والسور ، ووضع البسملة فى الأوائل هو من النبى صلى الله عليه وسلم ولما لم يؤمر بذلك فى أول سورة براءة تركت بلا بسملة .

وقال الإمام القشيرى ، والصحيح أن البسملة لم تكتب فى براءة لأن جبريل ما نزل بها فى هذه السورة . انتهى .

وقال السيوطى : الأولى أن يقرأ على ترتيب المصحف ، قال فى شرح المهذب : لأن ترتيبه لحكمة فلا يتركها إلا فيما ورد فيه الشرع كصلاة صبح يوم الجمعة فإنه يقرأ فيها « الم السجدة ، وهل أتى على الإنسان » فلو فرق السور بأن قرأ ثم سورة فصلت ثم سورة الفتح ، أو عكس بأن قرأ سورة الرعد ثم سورة الأنفال جاز وترك الأفضل وأما قراءة

السور من آخرها إلى أولها فمتفق على منعه لأنه يذهب بعض نوع الإعجاز ويزيل حكمة الترتيب . وقد أخرج الطبرانى بسند جيد .

عن ابن مسعود أنه سئل عن رجل يقرأ القرآن منكوساً فقال ذلك منكوس القلب . قال أبو عبيد : فأما من ابتدأ القراءة وهو يريد التنقل من آية إلى آية وترك التأليف لآى القرآن فإنما يفعله من لا علم له لأن الله لو شاء لأنزله على ذلك . انتهي .

ونقل القاضى أبو بكر الإجماع على عدم جواز قراءة آية آية من كل سورة . انتهى .

ولهذا الترتيب حكم بالغة . وأسرار سامية تكفل علماء المسلمين بكشفها وبيانها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعون وأتباعهم وعلماء الإسلام فى سائر الأعصار والأمصار يقرءون القرآن الكريم على هذا الترتيب البديع ، والتنسيق المعجز ، الذى كان — ولا يزال — له أكبر الأثر فى قلوب المسلمين .

ولكن مما يؤسف له أن قراء القرآن الكريم فى هذا العصر — إلا النذر اليسير — قد ابتدعوا فى قراءتهم بدعة سيئة وطريقة مقيتة ، ينكرها الدين ويأباها الشرع ، وينفر منها قلب المؤمن المفعم بحب القرآن وتقديسه ، الغيور على صيانته من عبث العابثين وهذيان اللاعبين ، تلك الطريقة القبيحة المستهجنة ، والبدعة الضالة المحدثة هى : أن القارىء يخالف الترتيب الذى أنزل الله القرآن عليه ؛ لذلك يبدأ قراءته بسورة معينة أو جزء مخصوص من القرآن الكريم ولكنه لا يصل الآيات بعضها ببعض ، بل ينتقى آيات معينة على مزاجه الخاص ، ويترك فى البين آيات أخرى لا توافق مزاجه ، ولا تلائم هواه وقد يعمد فى قراءته إلى الاقتصار على آيات الوعد والبشارة ، دون آيات الوعيد والنذارة ، وقد صرح البعض — غفر الله له — بأنه إنما ترك آيات الزجر والإنذار رعاية لشعور السامعين وإحساسهم ، وهو فى ذلك جد خاطىء فإن المولى جلت قدرته الحكيم فى صنعه العليم بخفايا النفوس وهواجس القلوب قد خلق عباده متفاوتين فى الاستعداد ، متباينين

فى الفطر والغرائز ، فمنهم من يكون علاجه فى سماع آيات الوعد والتبشير ومنهم من يكون دواؤه فى سماع آيات التهديد والوعيد ، فالله تعالى يؤدب عباده على اختلاف استعداداتهم وتباين طبائعهم .

وقد جمع الله تعالى فى آيات كثيرة بين التبشير والتحذير مثل « غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب » ومثل « نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم » .

وبين أن مهمة الرسول الأعظم هى التبشير والتحذير معاً قال تعالى إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً فالقارىء الذى يقتصر فى قراءته على آيات الوعد والتبشير كأنه يستدرك على الخالق ، ويعقب عليه ، وكأنه يدعى أنه أكثر أدباً وأشد رعاية لشعور السامعين من القرآن الكريم ، وكأنى به وهو يزعم أن عنده من الرحمة بالخلق والإشفاق عليهم ماليس عند أرحم الراحمين وليس عند المبعوث رحمة للعالمين .

إن هـذه الطريقـة تذهب بناحية هامة من نواحى إعجاز القرآن الـكريم ، وهى إحكام نسجه ، وتناسق نظمه ، وتعانق جملة وكلمه ، والعلاقة الـكاملة بين سوره وآيه بحيث إن جميع آياته بمثابة الحلقة المفرغة لايدرى أين طرفاها .

ثم هى فى الوقت نفسه تشوش على السامع وتوقعه فى حيرة ولبس ، وتحول دون فهمه لـكتاب الله وتدبره ، والانتفاع بهديه ورشاده .

وذلك أن بين آى القرآن — كما قلنا — من وثيق الصلة ، ووشيج التناسق ، وكمال الارتباط مالا يكاد يوجد فى أى كلام غير كلام الله تعالى ، وقراءة بعض الآى وترك بعضها يفـكك هذه الصلة ، وينقض هذا التناسق ، ويمزق هذا الارتباط ، فتكون النتيجة الحتمية لذلك التشويش على القارىء ، وبلبلة فـكره ، وتشتت فهمه :

ثم قد يكون فهم الآية متوقفاً على سابقها ولاحقها من الآيات ، فإذا قفز القارىء ، وترك قراءة السابق أو اللاحق ،

فلا شك أن ذلك يجعل السامع حائر الذهن ، عقيم الفهم ، بعيدا عن الصواب فى إدراك المعنى المراد .

لذلك نهى الشارع عن اتباع هذه الطريقة ، وأمر أن يقرأ القرآن بترتيب الله لا بترتيب عباده . قال تعالى : وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا .

وأخرج أبو عبيد عن سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر ببلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة فقال له : اقرأ السورة على وجهها ، وفى رواية إذا قرأت سورة فأنفذها أى اقرأها كما أنزلها الله تعالى ولا تترك من آياتها شيئا .

قال أبو عبيد : الأمر عندنا على كراهة قراءة الآيات المختلفة ، كما أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بلال ، وكما أنكر ابن سيرين ، فمن ابتدأ القراءة وهو يريد التنقل من آية إلى آية وترك التأليف لآى القرآن فإنما يفعله من لا علم له لأن الله تعالى لو شاء لأنزله كذلك . انتهى

وقد نقل القاضى أبو بكر الإجماع على عدم جواز قراءة آية آية من كل سورة .

وقال صلى الله عليه وسلم « اقرءوا القرآن كما علمتم » وقال ابن سيرين : تأليف الله خير من تأليفكم . وقال ابن سيرين أيضا حينما سئل عن الرجل يقرأ من السورة آيتين ثم يدعها ويأخذ فى أخرى : « ليتق الله أحدكم أن يأثم إثماً كبيراً وهو لا يشعر» .

وقال البيهقى : وأحسن ما يحتج به أن يقال : إن هذا التأليف لكتاب الله تعالى مأخوذ من جهة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخذ النبى عن جبريل ، فالأولى بالقارىء أن يقرأه على التأليف المنقول المجمع عليه . انتهى .

وقال الحكيم الترمذى : إن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر هذا الصحابى السالف الذكر — بلالا — أن يقرأ السورة كما جاءت ممتزجة ، وكما أنزل الله تعالى ، فإنه أعلم بدواء العباد وحاجتهم ، ولو شاء الله لصنعها أصنافاً ، كل

صنف على حدة ، ولكنه مزجها لتصل القلوب بنظام لا يمل . انتهى .

فمن أجل ما تقدم من هذه النصوص عن أئمة الإسلام وحماة القرآن نهيب بالقارىء أن يراقب ربه فى تلاوته ، وأن يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وعلماء الإسلام فى جميع القرون ، فقد ثبت أن هؤلاء جميعاً ما كانوا يتلون كتاب الله تعالى إلا على الوجه الذى استقر فى العرضة الأخيرة التى عرض فيها جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم القرآن مرتين ، وكان ذلك على الترتيب الذى نقرؤه فى المصاحف .

فإن هذا الترتيب إنما هو ترتيب توقيفى عن الله جل جلاله لحكم بالغة وأسرار جمة كما سبق . وليس هناك ما يبرر للقارىء أن يعدل عن هذا الترتيب ، ويتغاضى عما فيه من حكم وأسرار .

لهذا نتوجه إلي السادة القراء في جميع البلاد والأقاليم وخصوصاً قراء الإذاعة الذين يعتبرون القدوة الحسنة ،

والأسوة الطيبة فى قراءة القرآن الكريم — نتوجه إليهم جميعاً بالرجاء الأكيد والأمل الوطيد أن يلتزموا القراءة من مكان واحد ، وأن يصلوا الآيات بعضها إلى بعض ، وأن يعدلوا عن هذه السنة العوجاء سنة القفز والالتقاط ، هذه السنة السمجة التى تمزق كتاب الله عز وجل ، وتبعد المسلمين عن فهم أسراره ، والانتفاع بأنواره .

تلك السنة التى لا نعرف لها فى دين الله أصلا ، ولا فى أصول التلاوة سنداً — والاتباع خير من الابتداع .

كما نتوجه بالرجاء الحار إلى المستمعين للقرآن من المسلمين أنهم إذا سمعوا قارئاً ينتهج هذه الطريقة فى تلاوته أن ينبهوه فى لين ورفق وفى حكمة وتريث إلي التزام الطريقة المثلى التى كان عليها سلفنا الصالح وعلماؤنا العاملون ، صوناً للقرآن الكريم ، ورعاية لحرمته وقداسته .

حكم جمع القـــراءات فى المحافل

حاصل ما ذكره علماء القراءات أن الجمع قسمان :

الأول : ما يكون فى حال التلقى ، والمشافهة ، والأخذ عن الشيوخ بأن يقرأ الطالب على أستاذه القراءات السبع ، أو العشر ، فيقرأ الآية برواية مع استيعاب طرقها ، ثم يعيد الآية بالرواية الثانية مع استيعاب طرقها أيضاً ، وهكذا حتى يستوعب جميع الروايات فى قراءة هذه الآية . ثم ينتقل إلى الآية الثانية فيصنع فيها كما صنع فى الآية التى قبلها وهكذا حتى ينتهى من قراءة القرآن الكريم كله على هذا النحو .

والقسم الثانى ما يكون فى المحافل ، وكيفيته هى كيفية القسم الأول ، فيقرأ القارىء الآية برواية ثم يعيدها بأخرى وهكذا حتى يستوعب جميع الروايات أو معظمها فى هذه الآية ، ثم ينتقل إلى الآية الثانية فيسير فيها سيره فى الأولى

إن شاء وهكذا حتى يفرغ من قراءته .

وحينئذ لا يكون ثمة فرق بين القسمين إلا أن الأول يكون بين يدى الأستاذ ، والثانى يكون أمام الجمهور .

والجمع — بقسميه — مبتدع مستحدث ، لم يكن فى العصر النبوى ولا فى عهد الخلفاء الراشدين ، ولا فى الصدر الأول ولا فى عصر الأئمة المجتهدين .

على هذا اتفقت علماء القراءات سلفاً وخلفاً لم يشذ منهم أحد .

فلقد كان الطالب فى هذه الأعصر يجلس إلى أستاذه ، فيقرأ عليه مايريد من القراءات السبع ، أو العشر ، ولكنه لا يقرأ الآية أكثر من مرة بل يقرأ القرآن الكريم كله برواية واحدة ، ثم يستأنف قراءته بالرواية الثانية ، فيقرأ ختمة برواية قالون ، وأخرى برواية ورش وثالثة برواية البزى ، ورابعة برواية قنبل ، وهكذا حتى يأتى على جميع الروايات .

وعلى هذه السنن كانت قراءة القرآن فى المحافل ، فكان

القارىء لا يقرأ أمام الجمهور إلا برواية واحدة ، لا يعيد آية ، ولا يكرر أخرى .

ظلت قراءة القرآن الكريم على هذا النهج إلى أوائل القرن الخامس الهجرى ، وفى هذا القرن — وكان فيه من أئمة القراءة أبو عمر وعثمان بن سعيد الدانى — أحدث القسم الأول من الجمع ، وهو الذى يكون فى حال التلقى ، وكان الحافز على إحداثه وابتداعه ما رأى أئمة القراءة فى هذا العصر من ضعف فى العزائم ، وفتور فى الهمم ، واحتياج إلى زمن طويل يمكن تلقى علم القراءات فيه على طريقة السلف الصالح .

فرأوا — تيسيراً على طالب تلقي القراءات ، وشحذاً لعزيمته ، وتمكيناً له من تحصيل هذا الفن فى وقت وجيز — أن يخترعوا هذا الجمع .

وهذا الجمع لم يتفق العلماء على جوازه ، بل منهم من أجازه نظراً لما يترتب عليه من الفوائد السالفة ، ومنهم من أجازه نظراً لأنه لم يعهد فى عصر التنزيل ، ولا فى القرون

التي شهد لها الرسول صلى الله عليه وسلم بالخيرية . وهاك بعض نصوص العلماء فيه .

قال العلامة المحقق ابن الجزرى فى كتابه « النشر فى القراءات العشر » :

وكانوا يقرءون على الشيخ الواحد العدة من الروايات ، والكثير من القراءات ، كل ختمة برواية لايجمعون رواية إلى غيرها ، وهذا الذى كان عليه الصدر الأول ومن بعدهم ، إلى أثناء المائة الخامسة ، عصر الدانى ، وابن شيطا ، والأهوازى ، والهذلى ، ومن بعدهم .

فمن ذلك الوقت ظهر جمع القراءات فى الختمة الواحدة ، واستمر إلى زماننا ، وكان بعض الأئمة يكره ذلك من حيث إنه لم تكن عادة السلف الصالح عليه ، ولكن الذى استقر عليه العمل هو الأخذ به ، والتقرير عليه ، وتلقيه بالقبول ، وإنما دعاهم إلى فتور الهمم وقصد سرعة الترقى والانفراد . انتهى .

وقال الجلال السيوطى فى الإتقان : الذى كان عليه

السلف الصالح أخذ كل ختمة برواية ، لا يجمعون رواية إلى غيرها إلى أثناء المائة الخامسة فظهر جمع القراءات فى الختمة الواحدة ، واستقر عليه العمل . انتهى .

وقال العلامة الدمياطى فى كتابه «إتحاف فضلاء البشر» وكان السلف لا يجمعون رواية إلى أخرى ، وإنما ظهر جمع القراءات فى الختمة الواحدة أثناء المائة الخامسة فى عصر الدانى واستمر إلى هذه الأزمان . انتهى .

وقال العلامة الصفاقسى فى كتابه « غيث النفع فى القراءات السبع » .

لم يكن فى الصدر الأول هذا الجمع المتعارف فى زماننا ، بل كانوا لاهتمامهم بالخير ، وعكوفهم عليه يقرءون على الشيخ الواحد العدة من الروايات ، والكثير من القراءات كل ختمة برواية ، لا يجمعون رواية إلى رواية ، واستمر العمل على ذلك إلى أثناء المائة الخامسة عصر الدانى وابن شريح وابن شيطا ومكي والأهوازى وغيرهم فمن ذلك الوقت ظهر جمع القراءات فى الختمة الواحدة ، واستمر عليه

العمل إلى هذا الزمان ، وكان بعض الأئمة ينكره من حيث إنه لم يكن عادة السلف . قلت : وهو الصواب ، إذ من المعلوم أن الحق والصواب فى كل شىء مع الصدر الأول ، قال تعالى : « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » .

وقال صلى الله عليه : وإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثه بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالا ، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم فى آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، ثم قال صاحب الغيث :

وانظر إلى توقف أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبى بكر وعمر وغيرهما من الصحابة فى جمع القرآن ، وكتبه فى المصاحف ، وأشفقوا من ذلك مع أنه يظهر فى بادىء الرأى أنه حق وصواب ، إذ لولا جمعه وحفظه لذهب هذا الدين . نعوذ بالله من ذلك .

وتوقف كثير من أئمة التابعين ، واتباعهم فى نقطه ، وشكله ، وكتب أعشاره ، وفواتح سوره ، وبعضهم أنكر ذلك وأمر بمحوه مع أن فيه مصلحة عظيمة للصغار ، ومن لم يقرأ من الكبار فى زماننا وزمانهم .

فإذا كان أعلم الناس وأفضلهم توقفوا فى مثل هذا ، وخافوا أن يكون ذلك حدثاً أحدثوه بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم فما بالك بأمر لا يترتب عليه كبير نفع ، وربما يترتب عليه الفساد والغلط والخلط ، والداعى إليه النفس لتحصيل حظوظها من الراحة ، وتقصير زمن العبادة ، جنح إلى هذا الكسالى والمقصرون ، ووافقهم على ذلك

شفقة عليهم ، وخوفاً من انسلاخهم من الخير بالكلية الأئمة المجتهدون انتهى ـ من غيث النفع .

ويؤخذ من هذه النصوص أمران :

الأولى : أن المراد بالجمع فى كلام هؤلاء الأعلام هو القسم الأول منه ، وهو ما يكون فى حال التلقى والأخذ عن الشيوخ ، كما يرشد إلى ذلك قول ابن الجزرى وصاحب غيث النفع : كانوا يقرءون على الشيخ الواحد الخ . وقول الشيخ السيوطى : الذى كان عليه السلف أخذ كل ختمة ، فإن المراد بالأخذ إنما هو التلقي والقراءة على الشيخ .

ويرشد إلى ذلك أيضا قول ابن الجزرى : وإنما دعاهم إلى ذلك فتور الهمم ، وقصد سرعة الترقى والانفراد ، فالمراد بالترقى والانفراد معرفة هذا العلم ، والإحاطة خبراً بمسائله ودقائقه ، والاستغناء عن المعلم .

الأمر الثانى أن هذ الجمع مختلف فيه بين العلماء ، منهم من أجازه وهو ابن الجزرى لما ينشأ عنه من سرعة الترقي والانفراد، والحصول على هذا العلم فى أقرب وقت .

ومنهم من منعه وكرهه لمخالفته ما كان عليه السلف الصالح ، وممن صوب كراهته ومنعه الصفاقسى صاحب غيث النفع وعبارته صريحة فى ذلك . وليس فى هذه النصوص ما يفيد مطلقاً إباحة الجمع في المحافل بل كلها صريحة فى جواز الجمع أو منعه فى حال التلقى فحسب .

وأما القسم الثانى من الجمع — وهو الذى يكون فى المحافل مع كونه مخترعاً مبتدعاً كالقسم الأول — فلم ينقل جوازه وإباحته عن أحد من علماء القرآن فى جميع الأعصار والأمصار .

وبين أيدينا معظم كتب القراءات ، مطبـــوعها ومخطوطها ، وقد حكت الخلاف فى القسم الأول من الجمع ، وذكرت أن من العلماء من أجازه لما فيه من قصر الزمن ، وسرعة التحصيل ، ومنهم من منعه ، لعدم وزوده عن الصدر الأول ، والسلف الراشد ، وقد نقلنا لك بعض نصوصهم ، ولـكن لم نظفر فيها بنص واحد عن أحد من

العلماء يبيح الجمع فى المحافل ، لأن العلة التى من أجلها أبيح القسم الأول لا تتحقق فى هذا القسم .

فحيث إن الجمع فى المحافل لم يكن فى الصدر الأول ، ولم يؤثر عن أحد من العلماء فى أى عصر من العصور إباحته وجوازه ، وليس هناك ما يبرره ويسيغه ، تعين أن يكون من البدع الضارة ، والسنن المحدثة الممقوتة ، ويكون مندرجاً تحت قوله صلى الله عليه وسلم « من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » رواه البخارى ومسلم وغيرهما ذلك أن قراءة القرآن عبادة من أجلّ العبادات — وقربة من أعظم القربات وقد اتفقت كلمة العلماء على أن ما أحدث فى العبادات سواء كان ذلك زيادة أم نقصاً ، وسواء كان قولا أم فعلا — ولم يكن هناك من أدلة الشرع العامة ما يجيزه فهو بدعة وضلالة وتغيير لدين الله بما لم يأذن به الله .

فيجب الوقوف فى جميع أنواع العبادات عند الحد الذى رسمه الشرع الشريف قال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

وقال صلى الله عليه وسلم : عليكم بسنتى — الحديث وقد ذكرناه آنفاً . وقال أيضاً : اتبعوا ولا تبتدعوا فإنما هلك من كان قبلكم بما ابتدعوا فى دينهم ، وتركوا سنن أنبيائهم ، وقالوا بآرائهم فضلّوا وأضلّوا .

وقال صلى الله عليه وسلم : « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » رواه البخارى ومسلم عن ابن مسعود . فقد أخبر أن خير القرون مطلقاً قرنه ، وذلك يقتضى تقديمهم فى كل باب من أبواب الخير .

فلو لم يكن فى هذا الجمع إلا أنه مخالف لما ورد عن الرسول وصحابته ، وعن التابعين ، بل وعن علماء القرآن فى جميع العصور لكان ذلك كافياً فى رده ومنعه .

على أنه قد ورد عن العلماء التصريح بإنكاره ورفضه .

قال الإمام ابن الجوزى فى كتابه « نقد العلم والعلماء » فى باب تلبيس إبليس على القراء : إن من تلبيسه عليهم أن منهم من يجمع القراءات فيقول : ملك مالك ، ملاك . وهذا لا يجوز لأنه إخراج للقرآن عن نظمه . انتهى .

وقال الإمام المجتهد أحمد بن تيمية فى فتاويه :

إن جمع القراءات فى الصلاة أو فى التلاوة بدعة مكروهة ، وجمعها لأجل الحفظ والدرس من الاجتهاد الذى فعله طوائف ، وإن الجمع لم يقع بحال من الصحابة والتابعين . انتهى .

والخلاصة أن الجمع فى المحافل بدعة منكرة ، لا ينبغي إقرارها ولا السكوت عليها .

يضاف إلى ذلك ما فى هذا الجمع من التكرار الذى يقطع على السامع سلسلة تتابع المعانى ، ويضطره — طوعا أو كرهاً — إلى أن يحصر ذهنه فى التفكير فى الروايات المختلفة التى تطرق سمعه ، فيحول ذلك بينه وبين المقصود الأعظم من سماع القرآن وهو فهمه وتدبره والانتفاع بما فيه من رشاد وهدايه ، وعظة وعبرة .

وإنى أعتقد أن السبب الحامل للقراء من ذوى الأصوات علي الجمع فى المحافل ما فيه من لفت الأنظار

إليهم ، والتفات القلوب حولهم وما ينشأ عن ذلك من الشهرة ، وذيوع الصيت ، الذى يجلب لهم الثمرة المادية ، والمنفعة العاجلة .

إن فى هذا الجمع من المثالب — غير ما ذكر — العجب والرياء والفخر والخيلاء ، وحب الظهور ، والقصد إلى التفوق على الأقران .

إن بعض القراء يقصد من هذا الجمع — مع ما ذكر — التفنن فى توقيع الآيات القرآنية على قواعد الموسيقى ، وقوانين النغم ، لذلك تسمعه يقرأ الآية بنغم خاصة ، ثم يعيدها برواية أخرى ليتوصل بذلك إلى إعادة الآية بنغمة أخرى وهكذا .

ومن أقبح أنواع الجمع ما يسمونه الجمع الحرفى ، وهو أن يعمد القارئ إلى كلمة مشتملة على روايات متعددة أو أوجه متنوعة ، فيعيد هذه الكلمة بعدد ما فيها من الروايات أو الأوجه فى نفس واحد .

فيقول مثلا : وقالت هَيْتَ لك . وقالت هِيتَ لك .

وقالت هَيْتُ لك . وقالت هِئْتَ لك . وقالت هِئْتُ لك . يقصد القارىء بذلك الأغراب على السامعين ، وإبهامهم أن عنده من كثرة الروايات والأوجه ما ليس عند غيره .

وكل من عنده أدنى مُسكة من فهم أو ذوق يدرك أن هذا النوع مخل بنظم القرآن ، ومضيع لرونق التلاوة ، مذهب لجمال الأداء .

والقارئ الذى فى قلبه بقية من دين ، وأثارة من توقير القرآن وتقديسه لا يرتكب هذه الجريمة النكراء فى تلاوة كلام رب العالمين .

وقصارى القول أنه يجب على القارئ شرعاً أن يقرأ لراو واحد سواء كان حفصاً أم غيره ، نعم إذا قرأ حزباً أو نصفه أو ربعه لراو كورش مثلا وأراد أن يقرأ حزباً آخر فله أن ينتقل لراو آخر . وعليه ألا يقرأ لراو ما إلا إذا كان واثقاً مما يقرأ متثبتاً من أصول الراوى وفرشه ، فإذا شك فى وجه أو طريق فعليه أن يدع ما يريبه إلى ما لا يريبه ، ويقرأ بما هو متثبت منه حتى لا يخلط بين رواية ورواية وحتى لا يقرأ بما لم يرد عن الراوى الذى يقرأ له .

حكم التغنى بالقرآن وتحسين الصوت به

اختلف العلماء فى التطريب بالقرآن ، والترجيع فيه ، والتغنى به ، وتحسين الصوت بقراءته ، فذهب فريق إلى كراهة ذلك وإنكاره ، ومن هذا الفريق أنس بن مالك ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، والحسن البصرى ، وابن سيرين ، ومالك بن أنس ، وأحمد بن حنبل . واستدلوا على ذلك بالأدلة الآتية :

الأول : ماروى عن زياد النميرى أنه جاء مع القراء إلى أنس بن مالك فقيل له اقرأ ، فرفع صوته وَطَرَّبَ وكان رفيع الصوت فكشف أنس عن وجهه ، وكان على وجهه خرقة سوداء ، وقال يا هذا ما هكذا كانوا يفعلون ، وكان إذا رأى شيئاً ينكره كشف الخرقة عن وجهه .

الثانى : روى عن سعيد بن المسيب أنه سمع عمر ابن عبد العزيز يؤم بالناس فطرَّبَ فى قراءته فأرسل إليه سعيد بن المسيب يقول :

أصلحك الله إن الأئمة لا تقرأ هكذا ، فترك عمر التطريب بعد ذلك .

الثالث : روى عن القاسم بن محمد أن رجلا قرأ فى مسجد رسول الله صلي عليه وسلم فطرب فأنكر ذلك القاسم ، وقال : يقول الله تعالى « وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

الرابع : روى ابن القاسم عن مالك رضى الله عنه أنه سئل عن الألحان فى قراءة القرآن الكريم فى الصلاة . فقال لا تعجبنى ، إنما هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم .

الخامس : روى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن يطرّب ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الأذان سمح سهل ، فان كان أذانك سهلا سمحاً ، وإلا فلا تؤذن . أخرجه الدارقطنى قال القرطبى : فان كان النبى صلى الله عليه وسلم قد منع ذلك

فى الأذان ، فأحرى ألا يجيزه فى قراءة القرآن الذى حفظه الرحمن ، فقال وقوله الحق « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وقال « وإنه لكتاب عزيز — الآية »

السادس : روى عن أحمد بن حنبل أنه قال : القراءة بالألحان لا تعجبنى وهى بدعة لا تسمع .

السابع : قال عبد الله بن يزيد العكبرى : سمعت رجلا يسأل أحمد بن حنبل ، ما تقول فى القراءة بالألحان ؟ فقال ما اسمك ؟ قال محمـــد ، فقال له : أيسرك أن يقال لك يامو حمد — بالمد ؟

قال القاضى أبو يعلى : وهذه مبالغة فى الكراهة .

الثامن : حديث اقرأوا القرآن بلحون العرب — وسيأتى الحديث بتمامه .

التاسع : ذكر القاضى أبو يعلى فى الجامع ، أنه صلى الله عليه وسلم ذكر أشراط الساعة ، وذكر أشياء منها أن يتخذ القرآن مزامير ، يقدمون أحدهم ، ليس بأقرئهم ولا أفضلهم إلا ليغنيهم غناء .

العاشر : إن التطريب بالقرآن ، وتحسين الصوت به ذريعة تفضى إلى التلاعب بكتاب الله تعالى بالزيادة فيه ، أو بالنقص منه ، أو بتطويل المد فوق المقدار المقرر له ، أو تقصيره عن المقدار المذكور ، أو بالمبالغة فى الغن إلى غير ذلك مما يترتب على القراءة بالتطريب من انحراف عن الجادة فى القراءة ، وبعد عن الصواب فى التلاوة ، فالمنع من التطريب كالمنع من الذرائع الموصلة إلى الحرام .

وذهب فريق إلى إباحة التطريب بالقرآن — وتحسين الصوت عند قراءته — ومن هذا الفريق : عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود ، وعطاء بن أبى رباح ، وأبو حنيفة وأصحابه ، والشافعى وأصحابه ، وابن المبارك واختاره الطبرى وابن العربى وغيرهما .

قال الإمام النووى فى التبيان : أجمع العلماء من السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار أئمة المسلمين على استحباب تحسين الصوت بالقرآن ، وأقوالهم وأفعالهم مشهورة نهاية الشهرة ، فنحن مستغنون

عن نقل شيء من أفرادها ، ودلائل هذا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مستفيضة عند الخاصة والعامة . انتهى .

وقال ابن القيم فى ذاد المعاد : وكان عبدالرحمن بن الأسود ابن يزيد يتتبع الصوت الحسن فى المساجد فى شهر رمضان ، وذكر الطحاوى عن أبى حنيفة وأصحابه أنهم كانوا يستمعون القرآن بالألحان .

وقال محمد بن عبد الحكم : رأيت أبى والإمام الشافعى ، ويوسف بن عمر ، يستمعون القرآن بالألحان . انتهى .

استدل هذا الفريق على ما ذهب إليه بما يلى :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « زينوا القرآن بأصواتكم » أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه . وفى لفظ عند الدارمى . حسنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً ، وفى حديث آخر . حسن الصوت زينة القرآن — أخرجه البزار وغيره . وقال

صلى الله عليه وسلم : من لم يتغن بالقرآن فليس منا — أخرجه أبو داود ، وقال صلى الله عليه وسلم . لَلّه أشدُّ أَذَناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القَيْنة إلى قينته — أخرجه ابن ماجه وأذنا بفتح الهمزة وفتح الذال مصدر أَذِن بفتح الهمزة وكسر الذال « من باب فرح » بمعنى استمع فأَذَناً معناه الاستماع ، قال الله تعالى : وأذنت لربها وحُقّتْ . أى استمعت لربه وحق لها أن تستمع أمره وتطيعه ، وتنقاد له ، والمراد بالاستماع فى الحديث الرضا والقبول كما فى قول المصلى فى الاعتدال سمع الله لمن حمده ، قال الإمام القرطبى : أصل الأَذَن بفتحتين أن المستمع يميل بأذنه إلى جهة من يسمعه ، وهذا المعنى فى حق الله تعالى لا يراد به ظاهره ، وإنما هو على سبيل التوسع على ماجرى به عرف التخاطب ، والمراد به فى حق الله تعالى إكرام القارئ وإجزال ثوابه لأن ثمرة الإصغاء .

والقينة : الأمة المغنية ، والجمع قينات .

وقال صلى الله عليه وسلم : لم يأذن الله لشىء ما أَذِن لنبى

يتغنى بالقرآن — أخرجه البخارى ومسلم والنسائى ، ومعناه أن الله تعالى لم يستمع لشىء كاستماعه لقراءة نبىٍّ يتغنى بقراءته ويحسنها بصوته وذلك أنه يجتمع فى قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خَلْقهم ، وتمام خشيتهم ، وهو سبحانه يسمع أصوات العباد كلهم ، برهم وفاجرهم ، كما قالت عائشة رضى الله عنها : سبحان الذى وسع سمعه الأصوات ، ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم ، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ ، كما دل عليه هذا الحديث .

وخرج صلى الله عليه وسلم على أصحابه يوماً ، وهم فى المسجد يتدارسون القرآن ، فقال لهم « تعلموا كتاب الله واقتنوه وتغنوا به فو الذى نفسي بيده لهو أشد تفلتاً من المخاض من العُقُل » أخرجه النسائى ، ومعنى اقتنوه اجعلوه مالكم وحافظوا عليه كما تحافظون على المال ، ومعنى تغنوا به حسنوا أصواتكم بقراءته .

وقال صلى الله عليه وسلم : إن هذا القرآن نزل بحزن ، فإذا قرأتموه فابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا ، وتغنوا به ،

فمن لم يتغن به فليس منا ، أخرجه أبو داود وابن ماجه .

وفى رواية لأبى داود عن عبد الجبار بن الورد قال سمعت ابن أبى مليكة يقول : قال عبيد الله بن أبى زيد : مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فدخلنا عليه ، فإذا رجل رث البيت ، رث الهيئة ، فسمعته يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليس منا من لم يتغن بالقرآن ، قال فقلت لابن أبى مليكة : يا أبا محمد أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت ؟ قال يحسنه ما استطاع . ويؤخذ من هذا أن السلف لم يفهموا من التغنى بالقرآن إلا تحسين الصوت به ؛ وتحزينه .

وعن أبى موسي الأشعرى رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال له : يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود . أخرجه البخارى ، والمزمار الآلة المعروفة ، والمراد به هنا الصوت الحسن ، وكان داود عليه السلام أحسن الناس صوتاً فشبه حسن صوت أبى موسى وحلاوة نغمته بصوت هذا المزمار ، وقوله صلى الله

عليه وسلم « آل داود » قال الخطابى : يريد داود نفسه لأنه لم ينقل أن أحدا من أولاد داود ولا من أقاربه أعطى من حسن الصوت ما أعطى داود . وفى الحديث امتـــداح الرسول قراءة أبى موسى وتقريره عليها .

وعن أبى موسى الأشعرى أيضاً ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : لو رأيتنى وأنا أستمع لقراءتك البارحة ، فقال : أما والله لو أعلم أنك تستمع قراءتى لحبَّرتُها لك تحبيراً أخرجه مسلم ، والتحبير التزيين والتحسين ، أى لزينته وحسنته بصوتى تزييناً .

وهذا دليل على جواز تعاطى ذلك وتكلفه .

وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : أبطأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بعد العشاء ، ثم جئت ، فقال : أين كنت ؟ قلت كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد ، قالت : فقام فقمت معه حتى استمع له ثم التفت إلىّ فقال : هذا

سالم مولى أبى حذيفة ، الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثل هذا . أخرجه ابن ماجه .

وقال الزهرى : عن أبى سلمة كان عمر رضى الله عنه إذا رأى أبا موسى الأشعرى قال له ذكرنا ربنا أبا موسى ، فيقرأ عنده ، وقال عمر : من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبى موسى فليفعل .

وقال أبو عثمان النهدى رضى الله عنه : كان أبو موسى يصلى بنا فلو قلت إنى لم أسمع صوت صنْج ولا بَرْبط ولاشيئاً قط أحسن من صوته .

والصنج بسكون النون آلة من آلات الملاهى ويجمع على صنوج وبربط كجعفر هو العود وهو من آلات الطرب أيضاً وهو معرب .

وكان عقبة بن عامر من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، فقال له عمر اعرض علىّ سورة كذا فعرض عليه ، فبكي عمر وقال ما كنت أظن أنها نزلت :

وعن جبير بن مطعم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور ؛ فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منـــه وفى بعض ألفاظه فلما سمعته قرأ « أم خُلِقُوا من غير شىء أم هم الخالقون » خلت أن فؤادى قد انصدع ، وكاد قلبى يطير ، وكان جبير حين سمع هذا مشركا على دين قومه ، وإنما قدم لفداء الأسرى بعد بدر ، وناهيك بمن تؤثر قراءته فى المشرك المصر على الكفر .

فكان هذا سبب هدايته ، ولهذا كان أحسن القراء ما كان عن خضوع وخشوع من القلب لتثمر ثمرتها ، قال صلى الله عليه وسلم : أحسن الناس صوتاً بالقرآن أخشاهم لله . وقال صلى الله عليه وسلم : إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن من إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله . أخرجه ابن ماجه . قال ابن كثير : والغرض أن المطلوب شرعا إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة . انتهى .

وعن البراء قال سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقرأ

فى العشاء بالتين والزيتون فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه . رواه البخارى ومسلم .

قال الشيخ النووى : ويستحب طلب القراءة من حسن الصوت والإصغاء إليها لهذه الأحاديث الصحيحة ، وهو سنة ثابتة عن رسول الله صلى عليه وسلم .

فعن عبد الله بن مسعود قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ علىّ القرآن ، فقلت يارسول أقرأ عليك وعليك أنزل ، قال : إنى أحب أن أسمعه من غيرى ، فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا جئت إلى هذه الآية « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » قال : حسبك الآن ، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان أخرجه البخارى ومسلم . وتذرفان بكسر الراء مضارع ذرف بفتح الراء ، وهو من باب ضرب ، يقال ذرفت العين — سال دمعها .

قال النووى : وفى هذا الحديث فوائد . منها استحباب استماع القراءة ، والإصغاء لها ، والبكاء عندها ، وتدبرها ،

واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمع له ، وهو أبلغ فى التفهم والتدبر من قراءته بنفسه وفيه تواضع أهـل العلم والفضل ولو مع أتباعهم .

هذا ما استدل به هذا الفريق على مذهبه من جهة النقل ، واستدلوا عليه من جهة العقل بأن تزيين القرآن ، وتحسين الصوت به ، والتطريب بقراءته له أعظم الأثر فى النفس ، وأجل الواقع فى القلب ، وهو أدعى إلى الاستماع والإصغاء إليه ، فبه تنفذ ألفاظه إلى الأسماع ، وتنفذ معانيه إلى القلوب ، وهو بمنزلة الحلاوة التى تجعل فى الدواء ليسوغ تعاطيه ، فينفذ إلى الداء ، وبمثابة الطيب الذى يضاف إلى الطعام لتقبل النفس عليه برغبة وشهية .

قالوا : ولابد للنفس من الطرب والاشتياق إلى الغناء ، فعوضت عن طرب الغناء بطرب القرآن ، كما عوضت عن كل محرم ومكروه بما هو خير منه .

قالوا : وهذا التطريب والتلحين أمر راجع إلى كيفية الأداء ، وتارة يكون سليقة وطبيعة ، وأخرى يكون تكلفاً

وتعمـــلا ، وكيفيات الأداء لا تخرج الكلام عن وضع مفرداته ، بل هى صفات الصوت المؤدى ، جارية مجرى مدود القراء الطويلة والمتوسطة ، لكن تلك الكيفيات متعلقة بالحروف وكيفيات الألحان والتطريب متعلقة بالأصوات .

هذا .. وقد اعترض الفريق الأول على الفريق الثانى بأن ما استدلوا به من الأحاديث والآثار لا يدل على مدعاهم .

فأما حديث « زينوا القرآن بأصواتكم » فليس على ظاهره ، وإنما هو من باب المقلوب أى زينوا أصواتكم بالقرآن ، قال الخطابي : وهكذا فسره غير واحد من أئمة الحديث ، زينوا أصواتكم بالقرآن وقالوا : هو من باب المقلوب . كما يقال عرضت الناقة على الحوض والأصل عرضت الحوض على الناقة ، قال الخطابى : ورواه طلحة عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : زينوا أصواتكم بالقرآن ، أى الهجوا بقراءته ، واشغلوا به أصواتكم ، واتخذوه شعاراً وزينة ،

وقيل معناه الحض على قراءة القرآن ، والدءوب عليه .

وقال الإمام القرطبي فى « التذكار » وإلى هذا المعنى يرجع قوله عليه السلام « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » أى ليس منا من لم يحسن صوته بالقرآن ، كذلك تأوله عبد الله ابن زيد وابن أبى مليكة .

قال عبد الله بن زيد : مر بنا أبو لُبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فإذا رجل رث الهيئة ، فسمعته يقول : قال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يتغن بالقرآن . فقلت لابن ابى مليكة : يا أبا محمد أرأيت إن لم يكن حسن الصوت ؟ قال يحسنه ما استطاع . ذكره أبو داود .

وإليه يرجع أيضاً قول أبى موسى للنبى صلى الله عليه وسلم : لو علمت أنك تسمع لقراءتى لحبرته لك تحبيراً . أى لحسنت صوتى بالقرآن ، وزينته به ، ورتلته .

وهذا يدل على أنه كان يَهُذُّ فى قراءته — يسرع فيها — مع حسن صوته الذى جبل عليه ، فلو علم ان الرسول صلى الله

عليه وسلم كان يسمعه لمد فى قراءته ورتلها كما كان يقرأ على الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيكون ذلك زيادة فى حسن صوته بالقرآن ، وهو معنى ماروى عن عبد الله بن الزبير أنه قال : ما أدركت رجلا من المهاجرين إلا وقد سمعته يترنم بالقرآن ، ومعاذ الله أن يتأول على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول إن القرآن يزين بالأصوات أو بغيرها ، فمن تأول هذا فقد واقع أمراً عظيما ، أن يحوج القرآن إلى ما يزينه ، وهو النور والضياء ، والزين الأعلى لمن ألبس بهجته ، واستنار بضيائه .

وقيل معنى يتغنى به يستغنى به من الاستغناء الذى هو ضد الافتقار ، لا من الغناء يقال تغنيت وتغانيت بمعنى استغنيت .

وأغناه الله : وتغانوا أى استغنى بعضهم عن بعض .

قال الجوهرى : تغنى الرجل بمعنى استغنى ، وقال الشاعر :

كلانا غنى عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا

وإلى هـذا المعنى ذهب سفيان بن عيينة ، ووكيع بن الجراح وغيرهما ، وقيل معناه يستغنى به عمـا سواه من الأحاديث وأخبار الأمم وروى هذا المعنى عن سفيان أيضاً .

وقيل معنى التغني بالقرآن الجهر به . والدليل على هذا التأويل حديث مسلم عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : ما أذن الله لشيء كإذْنِه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن ، يجهر به ، ولم يقل يطرب به ، والعرب تسمى كل من رفع صوته ووالى غانياً ، وفعله ذلك غناء ، وإن لم يلحن بتلحين الغناء .

وأما حديث عائشة : أبطأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة — الحديث وقد ذكرناه بتمامه فلا يدل لهم أيضاً ، لأن عائشة قالت لم أسمع مثل قراءته وصوته ، ولم تقل مثل ترجيعه وتطريبه وتغنيه .

وقيل معنى يتغنى به أى يَظْهَرُ على قارئه الحزن الذى

هو ضد السرور ، عند تلاوته ، ذهب إلى هذا جماعة من العلماء منهم الحليمى والليث بن سعد وآخرون .

واحتجوا على ذلك بما رواه عبد الرحمن بن أبى السائب ، قال : قدم علينا سعد بن أبى وقاص ، وقد كف بصره ، فسلمت عليه فقال : مرحباً بابن أخى ، بلغنى أنك حسن الصوت بالقرآن ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن هذا القرآن نزل بحزن ، فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا ، وتغنوا به ، فمن لم يتغن به فليس منا ، أخرجه ابن ماجه .

قال أبو عبيد : ومحمل الأحاديث التى جاءت فى حسن الصوت إنما هو على طريق الحزن والتخويف .

وقال الحليمى : والذى يظهر بدلالة الأخبار أنه أراد بالتغنى أن يحسن القارىء صوته مكان ما يحسن المغنى صوته بغنائه ، إلا أنه يميل به نحو التحزن دون التطريب . إذ قد عوض الله عن غناء الجاهلية خيراً منه ، وهو القرآن الكريم ، فمن لم يحسن صوته بالقرآن ، ولم يرض به بدلا

من ذلك الغناء فليس منا ، إلا أن قراءة القرآن لا يدخلها التغنى وفضول الألحان وترديد الصوت ما يلبس المعنى ، ويقطع أوصال الكلام ، كما قد دخل ذلك كله الغناء . وإنما يليق بالقرآن حسن الصوت والتحزين به دون ما عداه .

وسئل الرسول صلى الله عليه وسلم : من أحسن الناس قراءة ؟ فقال من إذا سمعته يقرأ حسبتَ أنه يخشى الله ، وقال إن هذا القرآن نزل بحـــزن فإذا قرأتموه فتحازنوا . أخرجه ابن مردويه وأبو يعلى وأبو نعيم فى الحلية .

وعن ابن عباس عن النبى صلى الله عليـه وسلم قال : إن أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتحزن به . أخرجه الطبرانى .

وأما حديث تعلموا القرآن وتغنوا به — الحديث وقد سبق — فهو وإن صح سنده فقدعارضه غير ماحديث حسبما تقدم ، وما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم من بيان قراءته ، على أنه يحتمل أن يكون معنى وتغنـــوا به الهجوا بتلاوته وذكره كما تقدم .

هذا كله كلام القرطبي . ثم قال : والدليل على هذا ما يعلم من القطع والبيان من أن قراءة القرآن بلغتنا متواترة جيلا فجيلا إلى العصر النبوى الكريم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس فيها تلحين ، ولا تطريب ، مع كثرة المتعمقين فى مخارج الحروف ، وفى المد ، والإظهار والإدغام ، وغير ذلك من كيفيات الأداء .

ثم إن فى الترجيع والتطريب همز ماليس بمهموز ، ومد ما ليس بممدود : فترجع الألف الواحدة ألفات ، والواو الواحدة واوات ، والياء ياءات ، فيؤدى ذلك إلى زيادة فى القرآن الكريم ، وهو ممنوع .

هذا خلاصة ماعضد به الإمام القرطبي ، مذهب الفريق الأول .

وأجاب الفريق الثانى عن الاعتراضات السابقة بما يلى :

أما تأويلهم حديث « زينوا القرآن بأصواتكم » بأنه من باب القلب ، والأصل «زينوا أصواتكم بالقرآن»

بخلاف الظاهر ، إذ الأصل عدم القلب ، وقد ورد فى السنة مايدل — فى صراحة وجلاء — على إبقاء الحديث على ظاهره ، وهو ما أخرجه الدارمى بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : حسنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً ، وما أخرجه البزار وغيره عنه صلى الله عليه وسلم « حسن الصوت زينة القرآن » .

وأما حديث ابن أبى مليكة فهو حجة لنا ، لأنه لما قيل له : أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت ، قال يحسنه مااستطاع فقوله هذا يدل على أنه لم يفهم من التغنى فى الحديث إلا تحسين الصوت عند قراءة القرآن .

وأما حديث أبى موسى الأشعرى « لو علمت أنك تسمع لقراءتى لحبرته لك تحبيراً » وحديث عبد الله بن الزبير ما أدركت رجلا من المهاجرين إلا وقد سمعته يترنم بالقرآن ، فالمعنى المتبادر لهما الذى لا يكاد يخطر بالبال سواه بمجرد سماع الحديثين إنما هو تزيين الصوت وتحسينه عند قراءة القرآن والتطريب بتلاوته .

وأما التأويل الذى ذكره القرطبى واستدل عليه ، وأسنده إلى ابن عيينة ، وهو أن يتغنى بمعنى يستغنى فقد رده إمام المفسرين العلامة ابن جرير الطبرى ، وذهب إلى أن التغنى هو تحسين الصوت عند التلاوة وهاكِ ما قاله باختصار .

الدليل على أن معنى الحديث تحسين الصوت والغناء المعقول الذى هو تحزين القارىء سامع قراءته — كما أن الغناء بالشعر هو الغناء المعقول الذى يطرب سامعه ، ما روى سفيان عن الزهرى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما أذن الله لشىء ما أذن لنبى حسن الترنم بالقرآن .

ومعقول عند ذوى الحجا أن الترنم لا يكون إلا بالصوت إذا حسنه المترنم وطرّب به وروى فى هذا الحديث ما أذن الله لشىء ما أذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن ، يجهر به ، وهذا الحديث من أبين البيان أن ذلك كما قلنا ، ولو كان كما قال ابن عيينة — يتغنى به أى يستغنى

به عن غيره — لم يكن لذكر حسن الصوت ، والجهر به معنى . والمعروف فى كلام العرب ، أن التغنى إنما هو الغناء الذى هو حسن الصوت بالترجيع ، قال الشاعر :

تغن بالشعر إنما كنت قائله إن الغناء لِهَذِّ الشعر مضمار

وأما ادعاء الزاعم أن تغنيت بمعنى استغنيت ، فليس فى كلام العرب ، فلم نعلم أحداً قال به من أهل العلم بكلام العرب . انتهى . من الطبرى .

وقال الإمام أبو الحسن بن بطال . وقد رَفَعَ الإشكال فى هذه المسألة ما رواه ابن أبى شيبة بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا القرآن وتغنوا به واكتبوه ، فوالذى نفسى بيده لهو أشد تفصياً من المخاض من العقل ، وفى مسند الإمام أحمد مثله .

وسئل الإمام الشافعي عن تأويل ابن عيينة فقال : نحن أعلم بهذا لو أراد به الاستغناء لقال : ليس منا من لم يستغن بالقرآن ، ولكن لما قال يتغنى بالقرآن علمنا أنه أراد التغنى والترنم به .

وقال العلامة ابن كثير : هذا المعنى الذى ذهب إليه ابن عيينة خلاف الظاهر من مراد الحديث لأنه قد فسره بعض رواته بالجهر وهو تحسين القراءة والتحزين بها . انتهى .

وأما تأويل التغنى بالجهر فلا ينافى ما ذهبنا إليه لأن الجهر بالقراءة لا ينافى تحسين الصوت بها فقد يجهر القارىء بقراءته مع تحسين الصوت والتطريب به .

وأما حديث عائشة فهو دليل لنا أيضاً لأنها ذكرت الصوت مع القراءة : فقالت . مثل قراءته وصوته ، فيدل على إعجابها بالأمرين ، حسن القراءة وجمال الصوت ، ولو كان المراد من تحسين الصوت بالقراءة فى الأحاديث السابقة ترتيلها وإجادتها ، والتأنى فيها — كما فهموا — لاقتصرت على القراءة وقالت : ما سمعت مثل قراءته ، فذكرها الصوت مع القراءة دليل واضح على أن القارىء كان يطرب بالقرآن ويحسن تلاوته بصوته وهذا ما ندعيه .

وأما تأويل التغنى بالتحزين فنحن لا نمنعه بل نقول إن

القارىء ينبغى له أن يترنم بالقراءة ، ويجتهد فى تحسين صوته بها مع ميله بصوته نحو التحزين بأن يؤثر من النغم ما يجعل السامع فى حزن وأسى حتى تتأثر نفسه بما يسمع فيؤدى ذلك إلى كمال خشيته وتمام خوفه من مولاه عز وجل فيكون لذلك أثره فى سلوكه ، وهذا ما يفيده صريح كلام الحليمى .

وأما حديث : تعلموا القرآن وتغنوا به الخ ، فدعواهم أن هناك أحاديث كثيرة تعارضه ، دعوى لا تتفق والواقع فإن الكثرة الكاثرة من الأحاديث صحيحها وحسنها تعانق هذا الحديث ، وتقرر مضمونه ومغزاه .

وأما قول العلامة القرطبى ، إن قراءة القرآن بلغتنا متواترة وليس فيها تلحين ولا تطريب فليس على ما ينبغي لأن التطريب والتلحين ليس كيفية من الكيفيات المتعلقة بضبط الحروف ، وتحسين الأداء حتى يحتاج فى إثباته إلى التواتر ، وحتى يمكن ضبطه ونقله ، وإنما هو كيفية من الكيفيات المتعلقة بالأصوات ، وهو ضرب من أضرب التحديث بالكلام وطريق من طرق إلقائه ، والناس فى

هـذا متفاوتون تفاوتهم فى الغرائز ، والاستعدادات ، والخصائص ، فلكل شخص صوته الخاص ، ونبراته الخاصة ، وإلقائه الخاص ، فحينئذ يتعذر نقل هذه الكيفيات المتعلقة بالضبط والأداء التى لاتختلف باختلاف الأشخاص فيتيسر نقلها ومحاكاتها جيلا بعد جيل ، وعصر إثر عصر .

وقولهم : إن الترجيع والتطريب فيه همز ماليس بمهموز الخ غير مسلم فإن القارىء يستطيع — فى سهولة ويسر — أن يتغنى بالقرآن ، ويرجع فيه ويحسن صوته بتلاوته ، مع تحريه الدقة فى تجويد كلماته ، وإتقان حروفه ، وتجميل أدائه ، ومراعاة حسن الوقف والبدء ، إلى غير ذلك من القواعد التى وضعها أئمة القراءة .

وكم سمعنا من قراء هذا العصر من يجمع بين الحسنيين ، ويوفق بين الفضيلتين متانة الترتيل ، وعذوبة التطريب .

وللإمام ابن القيم فى هذا المقام كلام جيد فإنه — بعد أن ذكر مذهب الفريقين ، وأورد حجج كل منهما — قال :

وفصل النزاع أن يقال : التطريب والتغنى على وجهين .

الأول : ما اقتضته الطبيعة ، وسمحت به ، من غير تكلف ولا تمرين ولا تعليم ، بل إذا خلى وطبعه ، واسترسلت طبيعته ، جاءت بذلك التطريب والتلحين . فذلك جائز وإن أعان طبيعته بفضل تزيين وتحسين ، كما قال أبو موسى للنبي صلى الله عليه لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً ، والحزين ومن هاجه الطرب والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب فى القراءة ، ولكن النفوس تقبله وتستحليه لموافقته الطبع ، وعدم التكلفة والتصنع فيه فهو مطبوع لا متطبع ، وكَلِفٌ لا متكلف . فهذا هو الذى كان السلف يفعلونه ويستمعونه ، وهو التغنى الممدوح المحمود ، وهو الذى يتأثر به التالى والسامع ، وعلى هذا الوجه تحمل أدلة أرباب هذا القول كلها وهو جواز التطريب والتغنى .

الوجه الثانى : ما كان من ذلك صناعة من الصنائع وليس فى الطبع السماحة به بل لا يحصل إلا بتكلف وتصنع وتمرن ، كما يتعلم أصوات الغناء بأنواع الألحان

البسيطة والمركبة على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة لا تحصل إلا بالتعلم والتكلف .

فهذه هى التى كرهها السلف وعابوها وذموها ، ومنعوا القراءة بها وأنكروا على من قرأ بها . وأدلة أرباب هذا القول — وهو منع التطريب — إنما تتناول هذا الوجه . وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ويتبين الصواب من غيره .

وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعاً أنهم براء من القراءة بألحان الموسيقى المتكلفة التى هى إيقاعات وحركات موزونة ، معدودة محـــدودة ، وأنهم أتقى لله من أن يقرءوا بها ويُسَوِّغُوها ، ويعلم قطعاً أنهم كانوا يقرءون بالتحزين والتطريب ويحسنون أصواتهم بالقرآن ويقرءونه بشجى تارة ، وبطرب تارة ، وبشوق أخرى وهذا أمر مركوز فى الطباع تقاضيه ، ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضى الطباع له بل أرشد إليه وندب إليه وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به وقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن .

وفيه وجهان ، أحدهما أنه إخبار بالواقع الذى كلنا نفعله ،

والثانى أنه نفى لهدى من لم يفعله عن هديه وطريقته والله أعلم . انتهى . من زاد المعاد .

وقال ابن كثير : فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية ، والقانون الموسيقائى — كذا — فالقرآن ينزه عن هذا ، ويجل ويعظم عن أن يسلك فى أدائه هذا المذهب ، وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك . قال صلى الله عليه وسلم : اقرءا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق ، وأهل الكتابين وسيجىء قوم من بعدى يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم ، وقلوب الذين يعجبهم شأنهم أخرجه البيهقي والطبرانى ، وعن أنس أنه سمع رجلا يقرأ القرآن بهذه الألحان التى أحدث الناس فأنكر ذلك ونهى عنه ، وهذا يدل على أنه محذور كبير وهو قراءة القرآن بالألحان التى يسلك بها مذاهب الغناء وقد نص الأئمة رحمهم الله على النهى عنه . فأما إن خرج به إلى التمطيط الفاحش الذى يزيد بسببه حرفا

أو ينقص حرفا ، فقد اتفق العلماء على تحريمه ، والله أعلم ، انتهي .

وقال السيوطى فى الإتقان : وأما القراءة بالألحان فنص الشافعى فى المختصر على أنه لا بأس بها . وفي رواية الربيع أنها مكروهة ، قال الرافعى فقال الجمهور ليست على قولين بل المكروه أن يفرط فى المد ، وفى إشباع الحركات حتى يتولد من الفتحة ألف ، ومن الضمة واو ، ومن الكسرة ياء ، أو يدغم فى غير موضع الإدغام فإن لم ينته إلى هذا الحد فلا كراهة .

وقال فى زوائد الروضة : والصحيح أن الإفراط على الوجه المذكور حرام يفسق به القارىء ، ويأثم به المستمع لأنه عدل به عن نهجه القويم . قال : وهذا مراد الشافعي بالكراهة ، قلت وفيه حديث : اقرءوا القرآن بلحون العرب وساق بقية الحديث المذكور آنفاً . انتهى .

وقال النووى فى التبيان : وقال أقضى القضاة الماوردى فى كتابه « الحاوى » القراءة بالألحان الموضوعة إن أخرجت

لفظ القرآن عن صيغته بإدخال حركات فيه أو إخراج حركات منه ، أو قصر ممدود ،أو مد مقصور ، أو تمطيط يخفى به بعض اللفظ ، ويلتبس به المعنى فهو حرام يفسق به القارىء ويأثم به المستمع ، لأنه عدل به عن نهجه القويم ، إلى الاعوجاج ، والله تعالى يقول : « قرآناً عربياً غير ذى عوج » قال الماوردى : وإن لم يخرجه اللحن عن لفظه ، وقراءته عن ترتيله كان مباحاً ، لأنه زاد على ألحانه فى تحسينه . قال النووى هذا كلام أقضى القضاة ، ثم قال : وهذا القسم الأول من القراءة المحرمة مصيبة ابتلى بها بعض الجهلة الطغاة الغشمة ، الذين يقرءون على الجنائز وفى بعض المحافل وهذه بدعة محرمة ظاهرة ، يأثم كل مستمع لها ويأثم كل قادر على إزالتها أو على النهى عنها إذا لم يفعل ذلك . انتهى . من التبيان .

وقال القسطلانى فى شرح البخارى : وقد علم مما ذكرناه أن ما أحدثه المتكلفون بمعرفة الأوزان الموسيقية فى كلام

الله تعالي من الألحان والتطريب ، والتغنى المستعمل فى الغناء وفى الغزل على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة ، من أشنع البدع ، وأسوأ المنكرات ، وأنه يوجب عليهم التعزير ، وعلى سامعيهم النكير ،

نعم إن كان التطريب والتغنى مما اقتضته طبيعة القارىء ، وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين ، ولا تعليم ، ولم يخرج عن حد القراءة به فهذا جائز . انتهى .

«تلخيص»

والذى نستطيع استنتاجه من الأحاديث والآثار السالفة ، وأقاويل العلماء يتلخص فيما يلى :

أولا : تحسين الصوت والتطريب به حال القراءة مستحب ومطلوب شرعاً ، والقارىء لا يكون حسن الصوت بطبعه ينبغى أن يجتهد فى تحسينه فى حدود استطاعته وينبغى ألا يكون هذا موضع نزاع بين العلماء لأن الأحاديث الكثيرة ، والآثار الشهيرة المستفيضة قد دلت على هذا دلالة واضحة لا إبهام فيها ولا غموض .

ثانياً : القراءة بالألحان مختلف فيها ، فمن العلماء من ذهب إلى حرمتها ، ومنهم من ذهب إلى كراهتها ، ومنهم من ذهب إلى جوازها واستحبابها .

ثالثاً : محل اختلاف العلماء فى القراءة بالألحان إذا كانت فى دائرة القواعد المحددة ، والأحكام المقررة التى وضعها

علماء التجويد ، واستنبطوها من القراءة التى وصلت إلينا بطريق التواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بحيث لاتخرج عنها قيد شعرة . أما إذا خرجت القراءة بالألحان عن حدود هذه القواعد والأحكام ، وترتب على القراءة بها الإخلال بهذه القواعد ، والعبث بها ، والانحراف عنها ، فقد أجمع العلماء قاطبة على تحريم القراءة بها .

والذى أراه أنه يجوز للقارىء أن يقرأ بأية نغمة من النغمات الموسيقية ، الحجاز ، النهاوند ، العشاق ، الصبا ، العجم ، الرست ، إلى غير ذلك من النغمات : بشرط ان يحافظ كل المحافظة على قواعد التجويد ، ولا ينحرف عنها يمنة ولا يسرة بحيث يجعل هذه القواعد فى المحل الأول ، ويؤثر رعايتها على رعاية قواعد الموسيقى ، حتى إذا تعارض عنده — فى بعض الأحيان — ضبط الكلمة القرآنية من ناحية التجريد ، وضبطها من ناحية الموسيقى بحيث يتعسر عليه ضبط الكلمة من الناحيتين معاً — فإنه يؤثر ضبطها

تجويداً ، ولو ترتب على ذلك الإخلال بقواعد الموسيقى ، أما إذا كانت القراءة بهذه النغمات تؤدى إلى الإخلال بأصول التلاوة وأحكام الأداء ، فإن القراءة بها تكون محرمة بإجماع المسلمين . يأثم القارىء بقراءتها ، ويأثم المستمع بسماعها ، والله الموفق .

الآداب التى ينبغى أن يتحلى بها

قارىء القرآن ومستمعه

لتالى القرآن الكريم آداب ينبغى أن يتحلى بها ، ويحرص كل الحرص على المواظبة عليها ، ولمستمعه كذلك .

وسنذكر — فى هذا المبحث — آداب التالى ، ثم نتبعها بآداب المستمع .

فأما الآداب المتعلقة بالتالى فهى قسمان ، قسم يطلب منه فى جميع الأوقات والأحوال ، وقسم يطلب منه فى حال التـــلاوة .

فأما القسم الأول — وهو الذى يأخذ نفسه به فى جميع أوقاته وأحواله — فهو أن يكون لله تعالى ذاكراً ، ولنعمه شاكراً ، وعليه متوكلا ، وبه مستعيناً ، وإليه راغباً ، وبه معتصما ، وللموت مستعداً ، وأن يكون دائماً خائفاً من ذنبه ، راجياً عفو ربه ، ويكون خوفه من الله فى حال

الصحة أغلب عليه ، ويكون الرجاء عند حضور أجله أقوى فى نفسه ، لحسن الظن بالله تعالى ، قال صلى الله عليه وسلم : لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ، أخرجه مسلم . أى أنه يرحمه ويغفر له ، وأن يجعل نصب عينيه الزهد فى دنياه ، والورع فى دينه ، ومراقبته لمولاه فى سره وجهره ، فى خلوته وجلوته ، وأن يربأ بنفسه عن الانغماس فى المنهيات وتعاطى الشبهات ، وأن يأخذ نفسه بالحلم والوقار ، والرفق والأدب ، والتواضع للفقراء ، والتحبب إلى المساكين ، وتجنب الكبر والعجب ، والبعد عن المراء والجدل .

ويرجم الله عبد الله بن مسعود حيث يقول : ينبغى لقارىء القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس مفطرون ، وببكائه إذ الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون .

وقال عبد الله بن عمرو : لا ينبغى لحامل القرآن أن يخوض مع من يخوض ، ولا يجهل مع من يجهل ،

ولا يلغو مع من يلغو ، ولكن يعفو ويصفح تعظيما لحق القرآن ، لأن فى جوفه كلام الله تعالى .

وعن الحسن البصرى قال : إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم ، فكانوا يتدبرونها بالليل ، وينفذونها بالنهار .

وينبغي لحامل القرآن أن يتخير من الأصدقاء من يعينه على الخير ، ويدله على الصدق ، ومكارم الأخلاق ، وأن يكون ممن يؤمن شره ويرجى خيره ، وأن يتفقه فى أحكام القرآن ومعانيه ، فيعرف محكمه ومتشابهه ، وناسخه ومنسوخه ، ومجمله ، ومفصله ، ومطلقه ومقيده ، وما فرضه الله عليه ، وندبه إليه ، فينتفع بما يقرأ ، ويعمل بما يتلو .

فإنه لا يجمل بحامل القرآن أن يتلوا فرائضه . ويردد على لسانه أحكامه وشرائعه ، وهو لا يفهم ما يتلوا ، ولا يعى ما يقرأ ، كما لا يحسن منه أن يسأل عن فقه ما يتلوه ولا يدرى منه شيئاً .

وأما الآداب المتعلقة بحال التلاوة فنذكر أهمها فيما يلى :

١ — أن يكون على طهارة من الحدثين الأصغر والأكبر ، لأن قراءة القرآن أفضل الأذكار ، وكان صلى الله عليه وسلم لا يحب أن يذكر الله إلا على طهارة ، فإذا قرأ وهو محدث حدثاً أصغر جاز بإجماع المسلمين، ولكنه يكون تاركا للأفضل ، فقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنعه من قراءة القرآن إلا الحدث الأكبر ، فقد كان يقرأ متوضأ وغير متوضىء لبيان الجواز ، وأما الجنب والحائض فيحرم عليهما قراءة القرآن سواء كان آية أم أقل منها ولو كلمة . نعم يجوز لهما النظر فى المصحف ، وإمرار القرآن على القلب .

٢ — أن يتطيب — يستعمل الطيب — ويلبس ما يتجمل به بين الناس من الثياب ، فإنه مناج ربه بكلامه .

قال الزركشى : لكونه بالتلاوة بين يدى المنعم ، فإن التالى للكلام بمنزلة المكالم لذى الكلام . انتهى ،

وقد ثبت أن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه كان يلبس

الثياب الحسنة النظيفة ويدّهن بالطيب إذا قام إلى الصلاة أو قرأ القرآن .

٣ — إذا أراد القراءة فلينظف فاه بالسواك تكريماً للتلاوة ، قال صلى الله عليه وسلم : نظفوا أفواهكم فإنها مجارى القرآن ، أخرجه البزار ، وقال يزيد بى أبى مالك إن أفواهكم طريق من طرق القرآن فطهروها ونظفوها ما استطعتم . قال العلمـــاء : إنما ندب للقارىء استعمال السواك قبل القراءة تطهيراً لفمه لقصده إلى التلفظ بحروف القرآن ، وهو راجع إلى تعظيم القرآن .

وإذا كان فمه نجساً بدم أو غيره فيكره له قراءة القرآن قبل غسله ، وقيل تحرم القراءة حينئذ كمسّ المصحف باليد النجسة .

وإذا كان قد أكل ثوماً أو بصلا قبل القراءة ، فينبغى له أن يزيل رائحته ولا يقرأ إلا إذا زالت الرائحة بالكلية . قال قتادة : ما أكلت الثوم منذ قرأت القرآن .

٤ — أن تكون القراءة فى مكان نظيف مختار ، ولهذا استحب جماعة من العلماء القراءة فى المسجد لكونه جامعاً للنظافة وشرف البقعة ، ومحصلا لفضيلة أخرى وهى الاعتكاف ، فإنه ينبغى لكل جالس فى المسجد أن ينوى الاعتكاف ليحصل له ثوابه .

وأما القراءة فى الطريق ، فالمختار جوازها إذا تمكن القارىء من ضبط الحروف ، والتدبر فى المعنى وإلا كرهت وروى أبو داود عن أبى الدرداء أنه كان يقرأ فى الطريق ، وكان مالك يكره القراءة فى الطريق مطلقاً .

٥ — أن يستقبل القبلة فى القـــراءة ، فقد جاء فى الحديث : خير المجالس ما استقبل به القبلة رواه الطبرانى . ويجلس خاشعاً بسكينة ووقار ، مطرق الرأس ، والأكمل أن يكون جلوسه حال القراءة كجلوسه حال الصلاة ، فلا يجلس متكئاً ، ولا مستنداً على شىء كوسادة وحائط إلا لعذر كمرض ، ولا يضع رجله على الأخرى .

ولو قرأ قائماً أو مضطجعاً أو فى فراشه أو غير ذلك من

الأحوال جاز ، وله أجر ولكن دون الأول . قال تعالى : الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم — الآية . وجاء أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن ورأسه فى حجر عائشة رضى الله عنها . وعن أبى موسى الأشعرى قال : إنى أقرأ القرآن فى صلاتى وأقرأ على فراشى . وعن عائشة رضى الله عنها قالت . إنى لأقرأ حزبى من القرآن وأنا مضطجعة على السرير .

٦ — إذا أراد الشروع فى القراءة استعاذ فقال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . لقوله تعالى : فإذاقرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . أى إذا أردت القراءة فاستعذ . والتعوذ مستحب وليس بواجب ، وهو مستحب لكل قارىء سواء كان فى الصلاة أم خارجها ، وسواء ابتدأ القراءة من أول السورة أم من وسطها ، ويقول بعد تعوذه « بسم الله الرحمن الرحيم » فإن ابتدأ قراءته من أول السورة وجب الإتيان بالبسملة عند جميع القراء إلا أول براءة فلا يأتى بها إجماعاً .

وأما إن ابتدأ من وسط السورة فإنه مخير بين الإتيان بالبسملة وتركها .

٧ — إذا شرع فى القراءة فليقـــرأ بتفكر وتدبر ، وروية وإمعان ، حتى يلين قلبه ، وتخشع نفسه ، وتستولى على مشاعره وأحاسيسه هيبة الله وخشيته ، وجبروته وسطوته ، وجلاله وسلطانه ، وقهره وبطشه ، فيكون لذلك أثره فى جوارحه ، ونتيجته فى سلوكه .

وعلى القارىء أن يستحضر فى ذهنه أنه بين يدى مولاه يناجيه بتلاوة كلامه ، ويتقرب إليه بقراءة خطابه .

وعليه أن يشغل قلبه فى معنى ما يلفظ به ، فيعرف ما ترمى إليه الآيات ، ويتأمل أوامرها وزواجرها ، ثم يعرض عمله عليها ، فإن كان على شىء من التقصير أقبل بكل جوارحه على ربه ، واستغفر من ذنبه ، وإن كان سالكا سبيل الجادّة حمد الله تعالى وسأله دوام نعمـــة التوفيق والتسديد ، والتدبر هو المقصود الأعظم من القـراءة ، والمطلوب الأهم فى التلاوة ، وبه تنشرح الصدور ، وتستنير

القلوب . قال تعالى « أفلا يتدبرون القرآن » وقال « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب » .

قال العارف بالله سيدى إبراهيم الخواص : دواء القلب فى خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين .

ويستحب للقارىء أن يردد ما يشاء من الآيات بقصد التأمل فى معناها : والتدبر فى مغزاها ، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قام بآية يرددها حتى الصباح وهى « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم . رواه النسائى وابن ماجه .

وعن تميم الدارى أنه كرر هذه الآية حتى أصبح وهى « أم حسب الذين اجترحوا السيآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » .

وعن سعيد بن جبير أنه أخذ يكرر هذه الآية فى الصلاة

بضعاً وعشرين مرة وهى « واتقوا يوما ترجون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » .

وردد الحسن البصرى فى الصلاة « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » مراراً فسئل فى ذلك فقال : أرى فيها معتبراً ، ما أرفع طرفا ولا أرده إلا وقع على نعمة ، وما لا يعلم من نعم الله تعالى أكثر ، وروى ترديد الآيات عن كثير من السلف .

ويستحب البكاء عند تلاوة القرآن وهو صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين ، قال صلى الله عليه وسلم : اقرءوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا . أخرجه ابن ماجه .

وكان أبو بكر رضى الله عنه : رجلا رقيق القلب إذا قرأ القرآن لا يملك عينيه من البكاء ، وقد ذكرنا حديث ابن مسعود فى قراءته على رسول الله وبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قراءته .

وعن عمر بن الخطاب أنه صلى بالجماعة الصبح فقرأ سورة

يوسف فبكي حتى سالت دموعه على ترقوته ، وسمعوا بكاءه من وراء الصفوف .

وقرأ عبد الله بن عمر « ويل للمطففين » فلما أتى على قوله « يوم يقوم الناس لرب العالمين » بكي حتى انقطع عن قراءة ما بعدها ، وعن الحسن بن صالح أنه قام ليلة فقرأ « عم يتساءلون » فما إن قرأ منها بضع آيات حتى غشى عليه ، ثم عاد فعاد إليها فغشى عليه ، فلم يختمها حتى طلع الفجر .

ومر النبي صلى الله عليه وسلم بشاب يقرأ « فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » فوقف واقشعر وخنقته العبرة ، ثم أخذ يبكي ويقول : ويحى من يوم تنشق فيه السماء . فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده لقد بكت السماء لبكائك ، والآثار فى هذا كثيرة .

قال الغزالى : البكاء مستحب مع القراءة ، والطريق فى تحصيله أن يحضر قلبه الحزن ، بأن يتأمل مافى القرآن من الوعيد والتهديد ، والمواثيق والعهود ، ثم يتأمل تقصيره

فى ذلك ، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر الخواص ، فليبك على فقد ذلك منه ، فإنه من أعظم المصائب .

٨ — إذا مر بآية وعد ورحمة وقف عندها ، وتأمل معناها ، وفرح بما وعده الله منها ، واستبشر بذلك ورغب إلى الله تعالى ، وسأله من فضله الجنة .

وإذا مر بآية عـــذاب استعاذ بالله تعالى من الشر ، واستجار به من العذاب ، وأشفق على نفسه .

وإذا مر بآية استغفار ، استغفر من ذنبه ، أو بآية توبة رجع إلى ربه ، أو بآية تنزيه لله نزه وسبح ، أو بآية دعاء طلب وتضرع ، أو بآية فيها ذكر الرسول عليه السلام صلى عليه ، ويتأكد ذلك عند قراءة « إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما .

وإذا مر بآية سجدة سجد إن كان متوضئاً ثم استأنف قراءته .

فعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة ، فقلت يركع عند المائة ، ثم مضى فقلت : يصلى بها فى ركعة ، فمضى ثم افتتح آل عمران فقرأها ، وكان يقرأ ترسلا — بتؤدة وتأن — وإذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ . رواه مسلم .

قال العلماء : ويستحب هذا السؤال والاستعاذة والتسبيح لكل قارىء سواء كان فى الصلاة أم خارجها .

٩ — أن يجتنب فى حال قراءته ماينافى احترام القرآن ، ويخل بقدسيته ، من الضحك ، واللهو ، واللغو ، ومن الكلام لغير حاجة ، فان فى ذلك استخفافاً بالقرآن ، كما لو قطع مكالمة أحد وحدث غيره ممن هو دونه ، فان فيه استخفافاً بذلك ، ولأن فى إتباع القرآن بعضه بعضاً بالقراءة من الرونق والبهجة ، ما ليس فى تقطيعه ، ففى التقطيع سلب زينة القرآن ، فلذلك كان مكروهاً .

فإن كان ثم حاجة للكلام بأن أُرتج على القارىء ونسى

بقية الآية التى يقرأ فيها فلا بأس من سؤال من بجواره من بقية الآية ، أو أراد الوقف على كلمة ولا يدرى أيجوز الوقف عليها أم لا فلا مانع من السؤال عن حكم الوقف عليها .

ويجتنب أيضا العبث باليد وغيرها ، والنظر إلى مايلهى ويبدد الذهن ، وأقبح من هـذا كله النظر إلى مالا يحل النظر إليه .

١٠ — إذا تثاءب يستحب أن يمسك عن القراءة لأنه مخاطب ربه ومناج له ، والتثاؤب من الشيطان ، قال مجاهد إذا تثاءبت وأنت تقرأ القرآن فأمسك عن القراءة إجلالا للقرآن ، حتي يذهب تثاؤبك .

وإذا عطس فى حال القـراءة فيستحب أن يقول : الحمد لله : ولو عطس غيره وهو يقرأ فى غير الصلاة ، وقال الحمد لله يستحب للقارىء أن يشمته ويقول له يرحمك الله . وهذا إذا لم يكن فى المجلس من يشمته غير القارىء فاذا كان فى المجلس من يشمته فالأفضل وصل القراءة وترك التشميت .

١١ — الأفضل أن يقرأ على ترتيب المصحف ، فاذا انتهى من سورة النحل مثلا يستحب أن يقـــرأ سورة الإسراء ، وهكذا سواء قرأ فى الصلاة أم فى غيرها . ودليل هذا أن ترتيب المصحف إنما جعل هكذا لحكمة فينبغى أن يحافظ على هذا الترتيب فى قراءته ، إلا فيما ورد الشرع باستثنائه كصلاة الصبح يوم الجمعه ، فإنه يقرأ فى الركعة الأولى سورة السجدة ، وفى الثانية « هل أتى على الإنسان » وصلاة العيد فإنه يقرأ فى الركعة الأولي « ق » وفى الثانية القمر أو يقرأ فى الأولى « سبح اسم ربك الأعلى » وفى الثانية « الغاشية » ، وهكذا فلوخالف ترتيب المصحف فقرأ سورة لا تلى الأولى ، أو قرأ سورة ثم قرأ ما قبلها جاز ولـكن ترك الأفضل .

فقد جاء عن عمر رضى الله عنه ، أنه قرأ فى الركعة الأولى من الصبح الـكهف ، وفى الثانية يوسف . وقرأ النبى صلى الله عليه وسلم فى الركعة الأولى النساء ، وفى الثانية آل عمران لبيان الجواز ، وهذا الحكم بالنسبة للسور ، أما

بالنسبة للآيات فقد ذكرنا فى المبحث السادس أن مثل ذلك لا يجوز فارجع إليه .

١٢ — قراءة القرآن من المصحف أفضل من القراءة عن ظهر قلب ، لأن النظر فى المصحف عبادة مطلوبة ، فتجتمع القراءة والنظر . وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : أعطوا أعينكم حظها فى العبادة قالوا : وما حظها من العبادة ؟ قال : النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه أخرجه البيهقي وغيرهم ، وثبت أن كثيراً من الصحابة كانوا يؤثرون القراءة فى المصحف ، ويكرهون أن يمر يوم دون أن ينظروا فى المصحف .

قال القرطبي : فائدة القراءة من الحفظ ، قوة الحفظ ، وثبات الذكر وهى أمكن للتفكر فيه ، وفائدة القراة فى المصحف التثبت حتى لا يخلط بزيادة حرف ، ولا إسقاط حرف ، أو تقديم آية أو تأخيرها وكان أبو موسى يقول ؛ إنى لأستحى ألا أنظر كل يوم فى عهد ربى مرة . انتهى .

وقال الزركشي في البرهان — بعد أن حكى القول الأول وهو أن القراءة في المصحف أفضل — والقول الثاني : أن القراءة على ظهر القلب أفضل واختاره عز الدين بن عبد السلام فقال في أماليه : قيل القراءة في المصحف أفضل لأنه يجمع فعل الجارحتين ، وهي اللسان والعين ، والأجر على قدر المشقة . وهذا باطل ، لأن المقصود من القراءة التدبر لقوله تعالى « ليدبروا آياته » والعادة تشهد أن النظر في المصحف يخل بهذا المقصود فكان مرجوحاً .

والثالث التفصيل وهو ماحكاه النووي حيث قال في التبيان :

ولو قيل : إنه يختلف باختلاف الأشخاص فتختار القراءة في المصحف لمن استوى خشوعه وتدبره ، في حالي القراءة في المصحف وعن ظهر القلب ، وتختار القراءة عن ظهر القلب لمن يكمل بذلك خشوعه ، ويزيد على خشوعه وتدبره لو قرأ في المصحف لكان هذا قولاً حسناً ، والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل . انتهى .

١٣ — إذا ابتدأ من وسط السورة فالأفضل أن يبتدىء من أول القصة ، أو من أول الكلام المرتبط بعضه ببعض وإذا أراد الوقف على غير آخر السورة ، فالأحسن أن يقف عندما تنتهى القصة أو ينتهى الكلام المرتبط بعضه ببعض ولا يتقيد بالأجزاء والأحزاب والأعشار . مثال ذلك قوله تعالى « إن الله كان غفوراً رحيما » الذى بعده « والمحصنات من النساء » وقوله تعالى « وأن الله لا يهدى كيد الخائنين » الذى يليه « وما أبرىء نفسى » وقوله تعالى « بل أنتم قوم تجهلون » الذى بعده « فما كان جواب قومه » فى سورة النمل وقوله تعالى « وكان ذلك على الله يسيرا » الذى يليه « ومن يقنت منكن لله ورسوله » وقوله تعالى « أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب » الذى بعده « واذكروا الله فى أيام معدودات » إلى غير ذلك .

فلا يحسن أن يختم على قوله « إن الله كان غفوراً رحيما » ولا أن يبتدىء بقوله « والمحصنات » ولا أن يختم عند «الخائنين » ولا يبتدىء بقوله « وما أبرىء نفسى » وهكذا

لشدة التعلق والارتباط ، بل يحتم عند قوله « وساء سبيلا» ويبدأ بقوله « حرمت عليكم » أو يحتم على « إن الله كان عليك حكيما » ويبتدى بقوله « ومن لم يستطع منكم طولا » وكذلك ينتهى عند قوله «إن ربى لغفور رحيم» ثم يبتدىء — إذا أراد — بقوله « وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى » وهكذا .

فإن الوقف على آخر الجزء أو آخر الحزب ، والابتداء بأول الجزء أو أول الحزب ، غير واجب ولا مستحسن شرعاً ، إلا حيث يكون الكلام تاماً يحسن الوقف عليه ، والابتداء بما بعده ، ولهذا المعنى قال العلماء : قراءة سورة قصيرة بكمالها أفضل من قراءة بعض سورة طويلة بقدر القصيرة ، فإنه قد يخفى الارتباط على بعض الناس فى بعض الأحيان .

قال العلماء : وإذا ابتدأ بقراءة أحد القراء ، فينبغى أن يستمر على القراءة بها ما دام الكلام مرتبطاً ، فاذا انقضى ارتباطه فله أن يقرأ بقراءة أخرى . والأولى دوامه

على القراءة الأولى ، ما دام فى هذا المجلس والله أعلم .

١٤ — إذا قرأ « والتين والزيتون » وختمها استحب له أن يقول عقب « أليس الله بأحكم الحاكمين » بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ، وإذا قرأ سورة القيامة وختمها ، فليقل استحسانا : بلى هو قادر . وإذاختم تبارك الذى بيده الملك فليقل الله رب العالمين وإذا قرأسورة الرحمن ، فليقل عقب قراءة كل آية من هذه الآيات « فبأى آلاء ربكما تكذبان » ولا بشىء من نعمك نكذب ربنا فلك الحمد . وإذا قرأ « فبأى حديث بعده يؤمنون » فليقل : آمنت بالله . وإذا قرأ « سبح اسم ربك الأعلى » فليقل ثلاث مرات : سبحان ربى الأعلى . وإذا قرأ « فألهمها فجورها وتقواها » فليقل : اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها . وإذا قرأ « وقل رب زدنى علما » قال : رب زدنى علما . وإذا ختم سورة البقرة قال : آمين .

وكل هذا على سبيل الاستحباب ، وينبغي أن يقول هذا الذى ذكرناه بصوت منخفض عن صوت القراءة

ليتميز القرآن عما ليس بقرآن ، والله أعلم .

وأما الآداب المطلوبة من مستمع القرآن الكريم فنذكر أهمها فيما يلى :

١ — الإصغاء الكامل ، والإنصات التام ليحرز الرحمة التى وعد الله بها المنصتين لكلامه فى قوله تعالى « وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » .

٢ — الإقبال بكل قلبه على القراءة ، وصرف جميع مشاعره وحواسه لما يسمع من التلاوة ، مطرحاً وراء ظهره كل ما يشغله عنها ، ويصرفه عن متابعتها ، من اللهو ، والمزح ، والعبث ، والتحدث مع الغير ، وشرب الدخان . إلى غير ذلك مما يخل بتوقير كلام الله وإجلاله ، ويلهى عن التشرف بسماع خطابه .

ذلك أن مجلس القرآن ما هو إلا مجلس تبتل وطاعة ، وتخضع وضراعة ، فهو موطن تنزل الرحمات الإلهية ، والتجليات الصمدانية ، ومهبط الملائكة المقربين ، وملتقى

عباد الله الصالحين ، فلا يليق بالمؤمن أن يفعل فيه ما ينافيه من ساقط الكلام ، ولغو القول ، وسيء الحديث ، وما ينفر الملائكة من حضوره ، فإن تنفير الملائكة من حضور هذا المجلس حرماناً لحاضريه من خير كثير ، ونفع جليل ، فالمؤمن الكامل هو الذى يعرف لهذا المجلس حقه ، ويقدر له قدره ، ويعمل على صيانته من الهزل والعبث ، ويترفع به عن الهذيان والمجون .

ومما ينبغى التنبه له أن مجلس القرآن ، لا فرق فيه بين أن يكون القارىء فى نفس المجلس ، أو يكون فى الإذاعة ، فكلاهما مجلس يتلى فيه كلام الله تعالى ، ويتعبد فيه بسماعه ، فحرمة المجلسين واحدة .

٣ — التأمل والتدبر فى معانى الآيات ، وقوة تناسقها وتعانقها ، والتفهم لأوامرها وزواجرها ، حتى تصفوا بذلك نفسه ، ويرق حسه ، فينقاد لأوامر الله فينفذها ، ولنواهيه فيجتنبها .

وحينئذ يزداد بسماع الآيات إيمانه ، ويكمل بها يقينه ،

فيكون ممن ينطبق عليه قوله تعالى « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم — الآية . ويكون حقيقياً بهذا الجزاء العظيم ، والعطاء الجسيم ، فى قوله تعالى « لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » .

٤ — إذا طرق سمعه آية رحمة سأل واستبشر ، أو آية عذاب أشفق وتعوذ ، أو آية تنزيه نزه وعظم أو آية دعاء طلب وتضرع ، أو آية استغفار أناب واستغفر ، أو آية توبة رجع إلى الله تعالى وندم أو آية فيها ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم صلى عليه ومجد ، ويتأكد ذلك عند سماع هذه الآيه « إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » .

وإذا سمع « فبأى آلاء ربكما تكذبان » قال : ولا بشيء من نعمك نكذب ربنا فلك الحمد . وإذا سمع « فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون » قال : آمنت بالله . وإذا سمع آية سجدة سجد إن كان متوضئاً ثم يعود إلى الإصغاء إلى آخر ما سبق فى آداب التالى فالتالى والمستمع سواء فى كل هذا .

٥ — البكاء عند القراءة ، والتباكى لمن لم يبك فعلا ، مع الحزن والخشوع ، وطريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن ، ومن الحزن ينشأ البكاء ، وطريق إحضار الحزن أن يتأمل السامع ما فى القرآن من الوعيد والتهديد ، ثم يتأمل فى امتثال أوامره ونواهيه ، فحينئذ يحزن لامحالة ويبكى ، فإن لم يحضره حزن ولا بكاء كما يحضر لأهل النفوس الصافية ، فليبك على فقد ذلك منه ، فانه من أشد البلايا والمحن .

قال صلى عليه وسلم « إن هذا القرآن أنزل بحزن فابكوا ، فان لم تبكوا فتباكوا ، وقد مدح الله البكائين فى كتابه مخبراً عن الأنبياء ومن حذا حذوهم فقال : « إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا » وقال : « إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرواسجداً وبكيا » .

والذين أوتوا العلم هم أهل الخشية ، كما قال تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » فأعلمهم بالله أشدهم له خشية ،

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : إنى لأعلمكم بالله وأخشاكم له . وكان صلى الله عليه وسلم يصلى ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء .

والأزيز : الصوت . والمرجل بكسر الميم وفتح الجيم : القـــدر .

وقال تعالى « وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » مدحهم الله تعالى لبكائهم حين سمعوا كلامه .

وفى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود اقرأ علىّ ، فقال له : أقرأ عليك وعليك أنزل ، فقال له الرسول : إنى أحب أن أسمعه من غيرى ، فقرأ عليه سورة النساء ، حتى إذا وصل قوله تعالى : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » قال له الرسول حسبك ، ثم نظر ابن مسعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا عيناه تذرفان .

قال القرطبي في التذكار : قال علماؤنا — بكاء النبي صلى الله عليه وسلم ، إنما كان لعظيم ما تضمنته الآية من هول المطلع ، وشدة الأمر إذ يؤتى بالأنبياء عليهم السلام شهداء على قومهم بالتصديق والتكذيب ويؤتى به صلى الله عليه وسلم شهيداً على أمته وعلى غيرهم .

ولهذا قال العلماء : يجب على القارىء إحضار قلبه ، والتفكر عند قراءته ، لأنه يقرأ خطاب الله ، الذي خاطب به عباده ، فمن قرأه ولم يتفكر فيه ، وهو أهل لأن يدركه بالتفكر والتذكر ، كان كمن لم يقرأه ، ولم يصل إلى غرض القراءة من قراءته ، فان القرآن يشتمل على آيات مختلفة الحقوق فاذا ترك التفكر والتدبر فيما قرأ استوت الآيات كلها عنده ، فلم يرع لواحدة من حقها . فثبت أن التفكر شرط في القراءة يتوصل به إلى إدراك الأغراض والمعاني التي تضمنها القرآن ، وما يحتوي عليه من العجائب ، وقد قال تعالى « أفلا يتدبرون القرآن » وقال « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكروا أولوا الألباب» . انتهى .

وقال صلى الله عليه وسلم : عينان لن تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل ، وقال : لا يلج النار رجل بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن فى الضرع ، ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم . أخرجهما الترمذى .

وقال حرمت على النار عين دمعت من خشية الله ، وحرمت على النار عين سهرت فى سبيل الله ، وحرمت على النار عين غضت عن محارم الله . أخرجه النسائي .

وعن مالك بن دينار قال : الباكى من خشية الله تهتز له البقاع التى يبكى عندها ، وتغمره الرحمة ما دام باكياً . وفى بعض الآثار : إذا بكى العبد من خشية الله تعالي تحاتت عنه ذنوبه كيوم ولدته أمه .

وقصارى القول أننا نهيب بالمسلمين جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها أن يلتزموا حدود الدين والأدب فى سماع القرآن الكريم ، وأن يراعوا مالمجلسه من قداسة وحرمة ،

وأن يقتفوا آثار سلفهم الصالحين فى تلاوة القرآن أو سماعه فتعلوهم السكينة ، وتغشاهم الرحمة ، وتتم لهم النعمة .

ولقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصدر الأول من التابعين وأتباعهم ، مثلا عليا يحتذى بهم فى سماع القرآن الكريم ورعاية حرمة مجلسه ، بجلال الصمت وجمال السمت ، وكمال الخشوع والتأثر ، والوجل والتدبر ، يستولى على قلوبهم عميق التفكر فى آياته ودقيق التأمل فى سمو عباراته ورقيق إشاراته ، والاتعاظ بأوامره وزواجره والاعتبار بمواعظه وعبره ، مؤمنين بأن ما يسمعونه هو كلام رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على سيد المرسلين ، فوعاه فؤاده ، ونطق به لسانه ، وبلغه إلى الأمة بكلماته وحروفه ، وبالكيفية التى لقنها إياه جبريل عليه السلام عن رب العزة جل جلاله فلم يزد الرسول الأمين فيه حرفاً ، ولم ينقص منه حرفاً ، ولم يبدل فيه كلمة بكلمة ، ولا عبارة بأخرى ، ولم يحد فيه عن الكيفية التى لُقِّنها قيد شعرة ، وموقنين بأن الله تعالى أنزل هذا الكتاب فارقاً

بين الحق والباطل ، والضلالة والهدى ، مرشداً الأمة إلى أكرم سبيل وأنبل غاية ، محذراً لها عما يرديها من طرق الغواية ، وينأى بها عن سنن الرشد والهداية ، مبشراً بالوعد الصادق من انقاد لأحكامه ، وسار على نهجه ، منذراً بالوعيد القارع والتهـــديد البالغ من انحرف عن جادته ، وانثنى عن رشاده . قاصداً من أخبار الأولين وأنباء السابقين ما فيه عظة وعبرة وذكرى وتبصرة ، مخبراً عما أعد الله لأصفيائه من نعيم مقيم ، ولأعدائه من عذاب أليم .

فكانوا — من أجل ذلك كله — إذا سمعوا آياته تتلى ، وكلماته تلقى تخشع أصواتهم لهيبتها ، وتخفق قلوبهم لجلالها وقوتها وتذرف عيونهم الدمع ساخناً ، فرقاً من تحذيرها ، ورهبة من إنذارها ، فيبادرون بالإقبال على ربهم بعمـــل الخير ، وخير العمل ، ويلهجون بالاستغفار من ذنوبهم ، يحدوهم الأمل فى سعة رحمة الله إلى كرمه وإحسانه ، ويدفعهم الرجاء فى عظيم فضله إلى عفوه ورضوانه .

والله سبحانه واسع الرحمة ، عظيم الفضل ، لا يرد لسائل سؤله ، ولا يخيب لراج أمله ، ولا يضيع أجر العاملين ؟

وكان الفراغ من تأليف هذا الكتاب يوم الخميس المبارك ٢٢ من شهر ربيع الآخر سنة ألف وثلاثمائة وثمانين هجرية ١٣٨٠ هـ الموافق ١٣ من شهر أكتوبر سنة ألف وتسعمائة وستين ميلادية ١٩٦٠ م وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين ؟

دعاء

ختم القرآن الكريم

المأثور عن الإمام زين العابدين

وهو الإمام الجليل العابد السجاد على زين العابدين بن الإمام أبى عبد الله الحسين السبط رضى الله عنهما . ولد بالمدينة يوم الخميس خامس شعبان سنة ٢٧ هـ ولقب زين العابدين لكثرة عبادته ؛ فقد كان يصلى كل يوم وليلة ألف ركعة ؛ وكان طويل السجود ولذا لقب « بالسجاد » . وكان عظيم الهدى والسمت ، شديد التواضع ، كثير الخوف من الله ، جواداً شجاعاً ، فصيحاً بليغاً ، وتوفى بالمدينة سنة ٩٢ هـ . ودفن بالبقيع ـ رضى الله عنه .

بسم الله الرحمن الرحيم

(اللَّهُــمَّ) اجْعَلْنَا وَوَالِدِيْنَا * وَمَشَائِخَنَا وَمُعَلِّمِينَا * وَوَالِدِيهِمْ وَالْحَاضِرِينَ * وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ : مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الْمُفْلِحِينَ ، الْمُنْجِحِينَ[1] الفَائِزِينَ ، البَارِّينَ النَّعِمِينَ[2] ، الفَرِحِينَ ، الْمَسْرُورِينَ ، الْمُسْتَبْشِرِينَ الْمُطْمَئِنِّينَ الآمِنِينَ الَّذِينَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ * صَدَقَ اللهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ .

وَبَلَّغَ رَسُولُهُ النَّبِيُّ الوَفِيُّ الْـكَرِيمُ * وَنَحْنُ عَلَى مَا قَالَ رَبُّنَا * وَسَيِّدُنَا ، وَمَوْلاَنَا * وَخَالِقُنَا ، وَرَازِقُنَا * وَبَاعِثُنَا ، وَوَارِثُنَا * وَنَصِيرُنَا ، وَمَنْ إِلَيْهِ مَصِيرُنَا ، وَوَلِيُّ النِّعْمَةِ عَلَيْنَا ، مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَلَهُ مِنَ الذَّاكِرِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ، وَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ . وَصَلَّى عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، وَعَلَى آلِهِ

---

(١) المنجحين : أي الصائرين ذوي نجح وظفر .

(٢) النعمين : أي النضرين ، يقال : نعم العود ــ كفرح ــ أخضر ونضر .

الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ الْمُنْتَخَبِينَ ، وَعَلَى جَمِيعِ الْمَلاَئِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ * إِنَّ رَبَّنَا حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

* * *

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى حَمِدَ فِى الْكِتَابِ نَفْسَه ، وَاسْتَفْتَحَ بِالْحَمْدِ كِتَابَه ، وَاسْتَخْلَصَ الْحَمْدَ لِنَفْسِه ، وَجَعَلَ الْحَمْدَ دَلِيلاً عَلَى طَاعَتِهِ ، وَرَضِىَ بِالْحَمْدِ شُكْراً لَهُ مِنْ خَلْقِه .

الْحَمْدُ لِلَّهِ بِجَمِيعِ مَحَامِدِهِ ، الْمُوجِبَةِ لِمَزِيدِه ، الْمُؤَدِّيَةِ لِحَقِّهِ ، الْمُقَدِّمَةِ عِنْدَه ، الْمَرْضِيَّةِ لَه ، الشَّافِعَةِ لِأَمْثَالِهَا[1] وَنَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّىَ وَيُسَلِّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ بِأَفْضَلِ الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا ، وَأَنْ يَحْبُوَهُ بِأَشْرَفِ مَنَازِلِ الْجِنَانِ وَنَعِيمِهَا وَشَرِيفِ الْمَنْزِلَةِ فِيهَا[2] — يَاكَرِيمُ .

* * *

(اللَّهُمَّ) إِنَّكَ أَحْضَرْتَنَا خَتْمَ كِتَابِكَ الَّذِى عَظَّمْتَ حُرْمَتَهُ ، وَجَعَلْتَهُ مُهَيْمِناً عَلَى كُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلْتَهُ ، وَقُرْآناً أَعْرَبْتَ فِيهِ عَنْ شَرَائِعِ أَحْكَامِكَ ، وَفُرْقَاناً فَرَّقْتَ بِهِ بَيْنَ

(١) أى التى تصير أمثالها شفعا لها .

(٢) المنازل : الأمكنة . والمنزلة : الرتبة والدرجة .

حَلالِكَ وحَرامِكَ، وَكِتاباً فَصَّلْتَهُ لِعِبادِكَ تَفْصِيلاً، وَوَحْياً أَنْزَلْتَهُ عَلَى قَلْبِ نَبِيِّكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ تَنْزِيلاً، وَجَعَلْتَهُ نُورًا تَهْدِي مِنْ ظُلَمِ الضَّلالِ بِاتِّبَاعِهِ، وَشَفِيعاً لِمَنْ أَنْصَتَ بِفَهْمِ التَّصْدِيقِ إِلَى اسْتِماعِهِ، وَمِيزَانَ قِسْطٍ لاَ يَحِيفُ (ولا يعدل) عَنِ الْحَقِّ (منطقُ) لِسَانِهِ[1]، وَضَوْءَ هُدًى لاَ تُخْبِي[2] الشُّبُهَاتُ نُورَ بُرْهَانِهِ، وَعَلَمَ نَجَاةٍ لاَيَضِلُّ مَنْ أَمَّ قَصْدَ سُنَّتِهِ، وَلاَ تَنَالُ يَدُ الْهَلَكَةِ مَنْ تَعَلَّقَ بِعُرْوَةِ عِصْمَتِهِ — يَاكَرِيمُ.

* * *

(اللَّهُمَّ) فَإِذْ بَلَّغْتَنَا خَاتِمَتَهُ، وَحَبَّبْتَ إِلَيْنَا تِلاوَتَهُ، وَسَهَّلْتَ عَلَى حَوَاشِي أَلْسِنَتِنَا حُسْنَ إِعَادَتِهِ، فَاجْعَلْنَا يَارَبِّ يَا اللّهُ مِمَّنْ يَتْلُوهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ، وَيَرْعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَيَدِينُ لَكَ بِاعْتِقَادِ التَّصْدِيقِ بِمُحْكَمِ بَيِّنَاتِهِ، وَيَفْزَعُ إِلَى الإِقْرَارِ بِمُتَشَابِهِ آيَاتِهِ، وَالاعْتِرَافِ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِكَ، لا تُعَارِضُنَا

(١) فى الأصل « لا يحيف عن الحق لسانه » فزدنا ما تراه لاقتضاء اللغة والمعنى والنسق اياه . ولا يحيف : أى لا يظلم .

(٢) لا تطفىء : من أخبيت النار أطفيتها .

الشُكوكُ فِي تَصْدِيقِهِ ، وَلا يَخْتَلِجُنَا الزَّيْغُ عَنْ قَصْدِ طَرِيقِهِ — يَا كَرِيمُ .

* * *

(اللَّهُمَّ) وَكَمَا جَعَلْتَ قُلُوبَنَا مُذَلَّلَةً بِحَمْلِهِ ، وَعَرَّفْتَنَا مِنْكَ شَرَفَ فَضْلِهِ ، فَاجْعَلْنَا يَارَبِّ يَا اللهُ مِمَّنْ يَعْتَصِمُ بِحَبْلِهِ وَيَأْوِي مِنَ الشُبهَاتِ إِلَىٰ عِصْمَةِ مَعْقِلِهِ ، وَيَسْكُنُ فِي ظِلِّ جَنَاحِ هِدَايَتِهِ ، وَيَهْتَدِي بِبَلَجِ إِسْفَارِ ضَوْئِهِ ، وَيَسْتَصْبِحُ بِضَوْءِ شُعْلَةِ مِصْبَاحِهِ ، وَلا يَلْتَمِسُ الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ يَا كَرِيمُ

* * *

(اللهُمَّ) وَكَمَا نَصَبْتَهُ عَلَماً لِلدَّلالَةِ عَلَيْكَ ، وَأَنْهَجْتَ بِهِ سَبِيلَ مَنْ نَزَعَاتُهُ إِلَيْكَ ، فَاجْعَلْهُ وَسِيلَةً لَنَا إِلَىٰ أَشْرَفِ مَنَازِلِ الكَرَامَةِ ، وَسَبَباً نَحْوِي بِهِ النَّجَاةَ فِي غُرْبَةِ القِيَامَةِ وَسُلَّماً نَعْرُجُ فِيهِ إِلَى مَحَلِّ السَّلامَةِ ، وذَرِيعَةً نَقْدُمُ بِهَا إِلَى نَعِيمِ دَارِ الْمُقَامَةِ — يَا كَرِيمُ .

* * *

(اللَّهُمَّ) وَاجْعَلْهُ لَنَا فِي ظُلَمِ اللَّيَالِي مُؤْنِساً ، وَلِأَقْدَامِنَا عَنْ نَقْلِهَا إِلَى الْمَعَاصِي حَابِساً ، وَلِأَلْسِنَتِنَا عَنِ الْخَوْضِ فِي

البَاطِلِ مِنْ غَـيْرِ مَا آفَةٍ مُخْرِساً ، وَلِجَوَارِحِنَا عَنْ اجْتِرَاحِ السَّيِّئَاتِ زَاجِرًا ، وَلِمَا طَوَتِ الْغَفْلَةُ عَنَّا مِنْ تَصَفُّحِ اعْتِبَارِهِ نَاشِرًا ، حَتَّى تُوَصِّلَ إِلَى قُلُوبِنَا فَهْمَ عَجَائِبِ أَمْثَالِهِ ، وَزَوَاجِرِ نَهْيِهِ الَّتِي ضَعُفَتِ الْجِبَالُ عَنْ احْتِمَالِهِ — يَا كَرِيمُ .

* * *

(اللَّهُمَّ) وَاجْبُرْ بِهِ خَلَّتَنَا بِالْغِنَىٰ مِنْ عُدْمِ الإِمْلَاقِ ، وَسُقْ إِلَيْنَا بِهِ رَغَدَ الْعَيْشِ وَخِصْبَ السَّعَةِ فِي الْأَرْزَاقِ ، وَاعْصِمْنَا بِهِ مِنْ هَفْوَةِ الْكُفْرِ وَدَوَاعِي النِّفَاقِ وَجَنِّبْنَا بِهِ الضَّرَائِبَ(١) الْمَذْمُومَةَ وَمَدَانِيَ(٢) الْأَخْلَاقِ ، حَتَّى تُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ دَنَسٍ بِتَطْهِيرِهِ ، وَتَقْفُوَ بِنَا آثَارَ الَّذِينَ اسْتَصْبَحُوا بِنُورِهِ ، وَلَمْ يُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَيَقْتَطِعَهُمْ بِخَدَائِعِ غُرُورِهِ — يَا كَرِيمُ .

* * *

(اللَّهُمَّ) وَكَمَا أَكْرَمْتَنَا بِخَتْمِ كِتَابِكَ ، وَنَدَبْتَنَا إِلَى

---

(١) الضرائب : الطبائع . مفردها ضريبة ، وهى الطبيعة والسجية .

(٢) مدانىء الأخـلاق : خسائسها ورذائلها ، جمع مدنأ مصدر ميمى بمعنى الدناءة .

التَّعَرُّضِ لِجَزِيلِ ثَوَابِكَ ، وَحَذَرْتَنَا عَلَىٰ لِسَانِ وَعِيدِهِ أَلِيمَ عَذَابِكَ ، فَاجْعَلْنَا يَارَبِّ يَا اللهُ مِمَّنْ يُحْسِنُ صُحْبَتَهُ فِي مَوَاطِنِ الْخَلَوَاتِ ، وَيُنَزِّهُ قَدْرَهُ عن مَوَاقِفِ التُّهَمَاتِ ، وَيُجِلُّ حُرْمَتَهُ عَنْ أَمَاكِنِ الْوُثُوبِ عَلَيهِ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ ، حَتَّى يَكُونَ لَنَا فِي الدُّنْيَا عَنِ الْمَحَارِمِ ذَائِدًا ، وَإِلَى النَّجَاةِ فِي غُرْبَةِ الْقِيَامَةِ قَائِدًا ، ولَنَا عِنْدَكَ بِتَحْلِيلِ حَلَالِكَ وَتَحْرِيمِ حَرَامِكَ شَاهِدًا ، وبِنَا عَلَى خُلُودِ الْأَبَدِ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَافِدًا — يَا كَرِيمُ .

* * *

(اللَّهُمَّ) وَسَهِّلْ بِهِ عَلَى أَنْفُسِنَا عِنْدَ الْمَوْتِ كُرَبَ السِّيَاقِ ، وعَلَزَ [1] الْأَنِينِ إِذَا بَلَغَتِ الرُّوحُ التَّرَاقِ ، وَتَجَلَّىٰ مَلَكُ الْمَوْتِ صَلَّى اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا وعَلَيْهِ وسَلَّمَ لِقَبْضِهَا مِنْ حُجُبِ الْغُيُوبِ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ، وزَافَ [2] لَهَا مِنْ ذُعَافِ مَرَارَةِ الْمَوْتِ كَأْسًا مَسْمُومَةَ الْمَذَاقِ ، ورَمَاهَا عَنْ قَوْسِ

---

(١) العلز — بالتحريك : الهلع الذى يصيب المريض والمحتضر .

(٢) زاف — بالزاى : دفع — والذعاف — بالذال — : السم .

الْمَنَايَا بِسَهْمِ وَحْشَةِ الْفِرَاقِ ، ودَنَا مِنَّا الرَّحِيلُ إِلَىٰ الآخِرَةِ وصَارَتِ الْأَعْمَالُ قَلَائِدَ فِي الْأَعْنَاقِ ، وَكَانَتِ الْقُبُورُ هِيَ الْمَأْوَىٰ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمِ التَّلَاقِ — يَا كَرِيمُ.

* * *

(اللَّهُمَّ) وبَارِكْ لَنَا فِي حُلُولِ دَارِ الْبِلَىٰ[1] وطُولِ الْإِقَامَةِ بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَىٰ ، واجْعَلِ الْقُبُورَ بَعْدَ فِرَاقِ الدُّنْيَا خَيْرَ مَنَازِلِنَا ، وافْسَحْ لَنَا بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ضِيقَ مَدَاخِلِنَا ، وَلَا تَفْضَحْنَا يَامَوْلَانَا فِي حَاضِرِي الْقِيَامَةِ بِمُوبِقَاتِ[2] الْآثَامِ ، واعْفُ عَنَّا مَا ارْتَكَبْنَا مِنَ الْحَرَامِ ، وارْحَمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِي مَوْقِفِ الْعَرْضِ عَلَيْكَ ذُلَّ مَقَامِنَا ، وَثَبِّتْ بِهِ عِنْدَ اضْطِرَابِ جُسُورِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْمَجَازِ عَلَيْهَا زَلَّةَ أَقْدَامِنَا ، وَنَجِّنَا بِهِ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَشَدَائِدِ أَهْوَالِ يَوْمِ الطَّامَّةِ ، وبَيِّضْ وُجُوهَنَا إِذَا اسْوَدَّتْ وُجُوهُ الْعُصَاةِ فِي مَوْقِفِ الْحَسْرَةِ والنَّدَامَةِ — يَا كَرِيمُ.

---

(١) دار البلى : هى القبر .

(٢) موبقات : مهلكات .

(اللَّهُمَّ) واصِلْ بِهِ صَلاحَ ظاهِرِنا، واحْجُبْ بِهِ خطَراتِ الْوَساوِسِ عنْ صِحَّةِ ضَمائِرِنا، واغْسِلْ بهِ دَرَنَ قُلُوبِنا ومُوبِقاتِ جَرائِرِنا، وانْفِ بِهِ وحَرَ[1] الشُّكُوكِ عَنْ صِدْقِ سَرائِرِنا، واجْمَعْ بِهِ مُتَنائِياتِ أُمُورِنا[2] واشْرَحْ بِهِ صُدُورَنا، ويَسِّرْ بِهِ أُمُورَنا، واكْسُنا بِهِ حُلَلَ الأَمانِ فِي نُشُورِنا، وَأَطِلْ بِهِ فِي مَوْقِفِ السَّاعَةِ جَذَلَنا وسُرُورَنا — يا كَرِيمُ.

* * *

(اللَّهُمَّ) واحْطُطْ بِهِ عَنَّا ثِقَلَ الأَوْزارِ، وَهَبْ لَنا بِهِ حُسْنَ شَمائِلِ الأَبْرارِ، واقْفُ بِنا آثارَ الَّذِينَ قامُوا لَكَ بِهِ آناءَ اللَّيْلِ وَأَطْرافَ النَّهارِ، حَتَّى تُوجِبَ لَنا بِهِ فَوائِدَ غُفْرانِكَ، وتُحَفَ بَوادِي إِحْسانِكَ، ومَواهِبَ صَفْحِكَ وَمَغْفِرَتِكَ ورِضْوانِكَ، يا أَكْرَمَ مَنْ سُئِلَ، وَأَوْسَعَ[3] مَنْ جادَ بِالْعَطايا، (ثلاثاً) — طَهِّرْنا بِكِتابِكَ الْكَرِيمِ مِنْ

---

(١) الوحر — بالتحريك: الغش.

(٢) متنائيات: متباعدات ومتفرقات، من تناءى، بمعنى تباعد.

(٣) فى الأصل: «ووسع» والأولى ما أثبتنا. ومن أسمائه تعالى «الواسع».

دَنَسَ الْخَطَايَا ، وهَبْ لَنَا الصَّبْرَ الْجَمِيلَ عِنْدَ حُلُولِ الرَّزَايَا ، وامْنُنْ عَلَيْنَا بِالْاسْتِعْدَادِ عِنْدَ نُزُولِ الْمَنَايَا ، وَعَافِنَا مِنْ مَكْرُوهِ مَا يَقَعُ مِنْ مَحْذُورِ الْبَلَايَا — يَا كَرِيمُ .

* * *

أَتُرَاكَ تَغُلُّ [1] إِلَى الْأَعْنَاقِ أَكُفًّا تَضَرَّعَتْ إِلَيْكَ ، واعْتَمَدَتْ فِي صَلَاتِهَا رَاكِعَةً وسَاجِدَةً بَيْنَ يَدَيْكَ ، أَوْ تُقَيِّدُ بِأَنْكَالِ الْجَحِيمِ [2] أَقْدَاماً سَعَتْ إِلَيْكَ ، وخَرَجَتْ مِنْ مَنَازِلِهَا لَا حَاجَةَ لَهَا إِلَّا الطَّمَعُ والرَّغْبَةُ فِيمَا لَدَيْكَ مِنَّا ، مِنْكَ عَلَيْهَا — يَاسَيِّدِي — لَا مَنًّا مِنْهَا عَلَيْكَ ، بَلْ لَيْتَ شِعْرِي ! أَتُرَاكَ تُصِمُّ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا أَسْمَاعًا تَلَذَّذَتْ بِحَلَاوَةِ تِلَاوَةِ كِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ ، أَوْ تَطْمِسُ بِالْعَمَى فِي ظُلَمِ مَهَاوِيهَا أَبْصَاراً بَكَتْ إِلَيْكَ ، خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ وَفَزَعاً مِنَ الْحِسَابِ أَمَا وعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ ، مَا أَصْغَتِ الْأَسْمَاعُ حَتَّى صَدَّقَتْ ، وَلَا أَسْبَلَتِ الْعُيُونُ وَاكِفَ الْعَبَرَاتِ حَتَّى أَشْفَقَتْ ،

---

(١) أتراك تغل إلخ : أى أيظن بك أن تفعل هـذا ! كلا ! ؟ فهو استفهام بمعنى النفى .

(٢) أنكال الجحيم : قيودها فى الأقدام . وأما أغلالها ففى الأعناق .

وَلاَ عَجَّتِ الْأَصْوَاتُ إِلَيْكَ بِالدُّعَاءِ حَتَّىٰ خَشَعَتْ، وَلاَ تَحَرَّكَتِ الْأَلْسُنُ ناطِقَةً بِاسْتِغْفَارِهَا حَتَّىٰ نَدِمَتْ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْ زَلَلِهَا وَعِثَارِهَا ، فَيَا مَنْ أَكْرَمَنَا بِالتَّصْدِيقِ ، عَلَىٰ بُعْدِ أَعْمَالِنَا مِنْ شَوَاهِدِ التَّحْقِيقِ ـ أَيِّدْنَا (اللَّهُمَّ) مِنْكَ يَارَبِّ فِي هٰذِهِ السَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ المباركَةِ الْمُعَظَّمَةِ عِنْدَ خَتْمِ الْقُرآنِ بِالْعِصْمَةِ والتَّوْفِيقِ (ثلاثاً) — يَا كَرِيمُ .

***

(اللَّهُمَّ) وآنِسْ وَحْشَتَنا بِطاعَتِكَ يا مُؤْنِسَ الْفَرْدِ الْحَيْرَانِ فِي مَهامِهِ الْقِفَارْ ، وَتَدارَكْنَا بِعِصْمَتِكَ يا مُدْرِكَ الْغَرِيقِ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ ، وخَلِّصْنا اللَّهُمَّ بِلُطْفِكَ مِنْ شَدَائِدِ تِلْكَ الْأَهْوَالِ والْأَخْطارِ ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْمُخْتارِ ، وَعَلَىٰ آلِهِ الطَّيِّبِينَ الْأَخْيارِ ، صَلاَةً يَغْبِطُهُمْ بِهَا مَنْ حَضَرَ الْمَوْقِفَ ، يَوْمَ الدِّينِ ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَىٰ آبائِهِ وَإِخْوانِهِ مِنَ الْأَنْبِياءِ والْمُرْسَلِينَ ، وَعَلَى أَتْبَاعِهِ وَأَشْيَاعِهِ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ أُمَّهاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَلَى أَبِينا آدَمَ وَأُمِّنا حَوَّاءَ ومَنْ ولَدَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَلَى

الصَّحابَةِ والتَّابِعِينَ ، وتابِعِي التَّابِعِينَ ، مِنْ يَوْمِنا هَذا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ، وَعَلَيْنا مَعَهُمْ وَفِيهِمْ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ (ثلاثاً) .

* * *

[وَهَبَ اللهُ[1] لَنا وَلَكُمْ سَوالِفَ الآثامِ وَعَصَمَنا وَإِيّاكُم فِيما بَقِيَ مِنَ الأَيّامِ ، وَتَقَبَّلَ مِنّا وَمِنْكُمُ الصَّلاةَ ، والقِراءَةَ والصَّدَقَةَ والدُّعاءَ والحَجَّ والصِّيامَ ، وأَحَلَّنا وإِيّاكُمْ بِرَحْمَتِهِ دارَ السَّلامِ ، ولا أَرانا وَإِيّاكُم قَبِيحاً بعدَ هذا المقامِ ، وَتَلَقَّى ساداتَنا وساداتكم ، وأَمواتَنا وأَمْواتَكم وأَمواتَ المسلمينَ بالإِتحافِ والإِجْلالِ والإِكْرامِ ، والإِعْظامِ والإِنْعامِ] .

وصلَّى اللهُ عَلَى سيِّدنا محمدٍ خَيْرِ الأَنام ، وعَلَى آله الخِيَرَةِ البَرَرَةِ الكِرامِ ، مصابيحِ الظلام أَفضلُ التَّحِيةِ والسلامِ ، وسلّم تسليما كثيراً ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ « سُبْحانَ ربِّكَ

---

(١) الظاهر أن ما بين المربعين إنما يقال عند ختم الجمع من القراء فى حضورهم ، كما القارىء المعروفة .

رَبِّ العِزَّةِ عَمَّـا يَصِفُونَ ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمدُ لله ربِّ العالمينَ » .

تم هذا الدعاء المبـــارك

صحح هذا الدعاء وضبطه وشرح عليه

أحمد عبد العليم البردونى

من علمـاء الأزهر ـــ عفى عنه

فهرست

صفحة

١ — علو القرآن على سائر الكتب المنزلة . ١٢

٢ — فضل تلاوة القرآن الكريم ، وبيان ما أعده الله تعالى لقرائه من جزيل الأجر ، وجليل المثوبة . ١٧

٣ — فضل استماع القرآن الكريم . ٤١

٤ — الحث على استذكار القرآن الكريم وتعاهده ، والتحذير من تركه بعد حفظه . ٤٤

٥ — كيفية تلاوة القرآن الكريم . ٥٠

٦ — إنزال القرآن على سبعة أحرف ، وما حكمة ذلك . ٥٩

٧ — حكم ما يفعله بعض القراء من ترك بعض الآيات أثناء التلاوة ٧٢

٨ — حكم جمع القراءات فى المحافل . ٨٣

٩ — حكم التغنى بالقرآن وتحسين الصوت به . ٩٧

١٠ — الآداب التى ينبغى أن يتحلى بها قارىء القرآن ومستمعه ١٢٢

١١ — دعاء ختم القرآن . ١٦٣

وأسأل الله جلت قدرته أن ينفع بهذا الكتاب كل من اطلع عليه ، وعمل بمقتضاه ، وأن يثيبنا على تأليفه بقدر ما لنا من حسن النية وكمال الإخلاص .